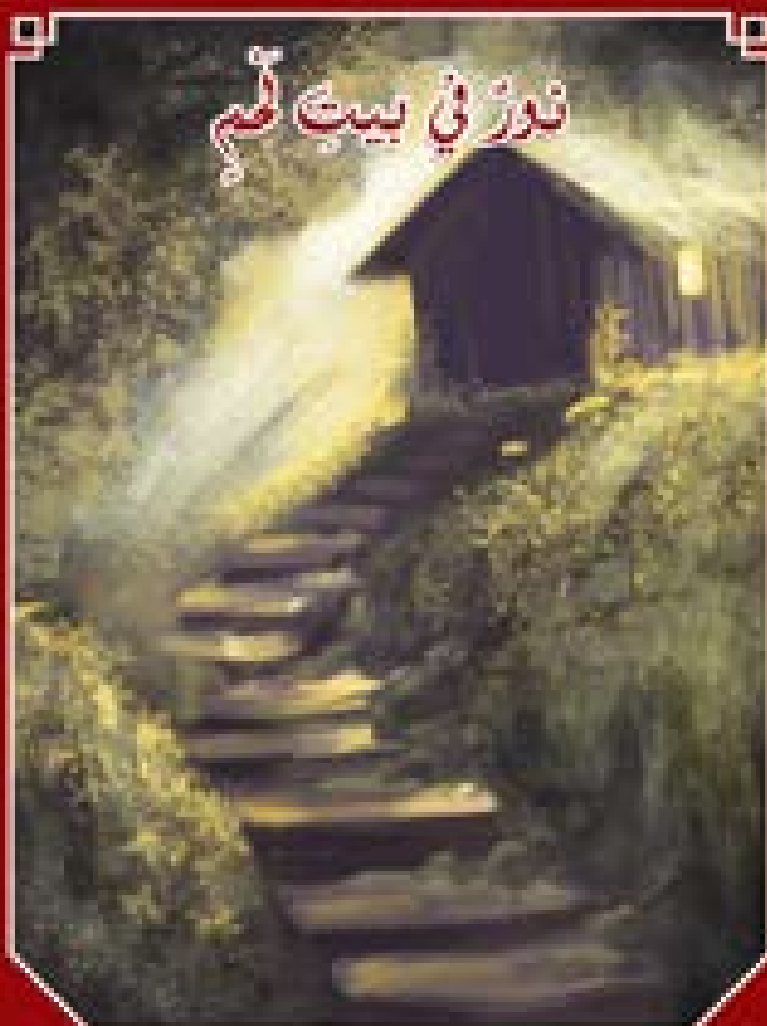
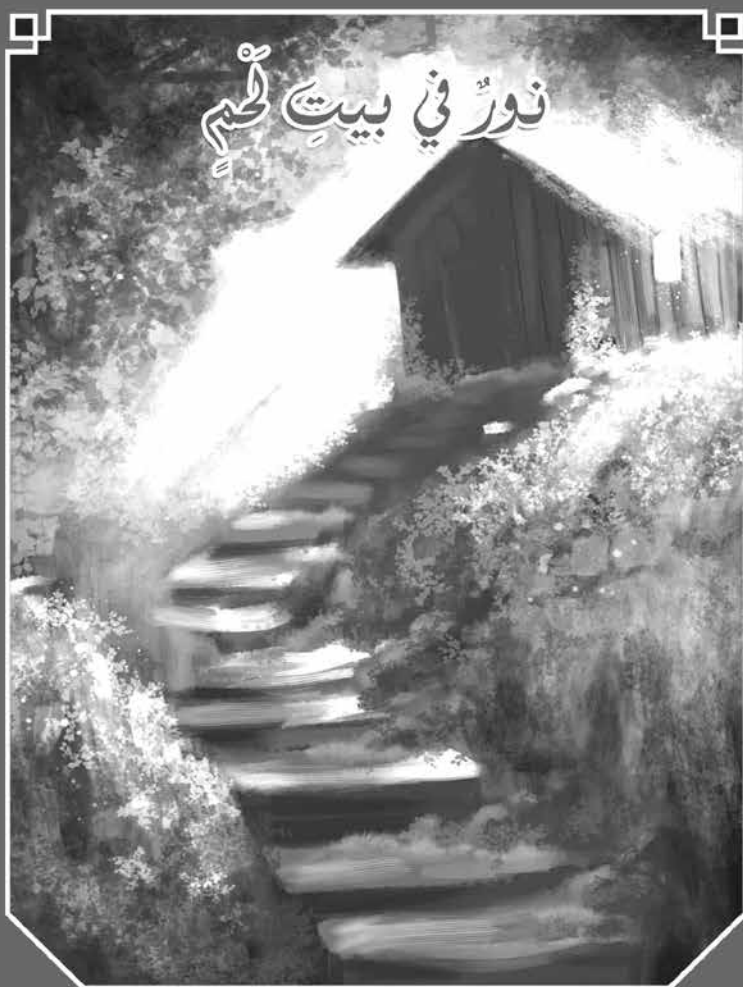


أُخْبِيتُ شَرِيعَتَكَ



القن
نيل سمعان يعقوب

أُحِبُّنِي شَرِيعَتَكَ



الْقَسْر
نبيل سمعان يعقوب

أَحَبُّ شَرِيعَتِكَ (ج ٢)

(بَاقَةُ مِنَ الْعِظَاتِ)

تأليف

القِس، نبيل سمعان يعقوب

الطبعة الأولى: ٢٠١٩ - دمشق.

الكتاب: أَحَبَّتْ شَرِيعَتَكَ (٢).

المؤلف: القس، نبيل سمعان يعقوب.

الترقيم الدولي: ISBN: 978-9933-0-0547-4

كلّ النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة (البستاني- فاندايك). وكل العبارات الواردة بين قوسين ضمن الآيات، هي إضافة من الكاتب للإيضاح.

تصميم الغلاف: Christine Kubahji

جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر محفوظة للمؤلف وحده، ولا يجوز استخدام أو اقتباس أي جزء منه دون إذن خطي مُسبق من المؤلف.

التنفيذ الطباعي: مطبعة باب توما

دمشق، سورية.

المحتوى

* مقدمة.

- ١٠ (١) أحداث سَبَقَتْ ميلاد المسيح.
- ١٨ (٢) ملاحظاتٌ على نَسَبِ المسيح.
- ٢٨ (٣) صفاتٌ من وُلِدَ لنا.
- ٣٨ (٤) نُبُوَّة سَمْعَانَ.
- ٤٥ (٥) لماذا يتفرد ميلاد المسيح؟
- ٥٢ (٦) فرحاً عظيماً.
- ٦٠ (٧) تسييحة الملائكة.
- ٦٦ (٨) نورٌ في بيتٍ لَحْمٍ.
- ٧٤ (٩) معاني الميلاد.
- ٨١ (١٠) ما هو موقفك من مولود بيتٍ لَحْمٍ؟

أَحَبُّ شَرِيعَتِكَ

* مقدمة

يتضمن هذا الكتاب مجموعة من المواعظ التي أُلقيت على منابر الكنيسة في أوقاتٍ، وأماكنٍ مختلفة، لتشجيع السّامع وتعزيز إيمانه، أو قيادته للمصالحة مع الله بيسوع المسيح. ولأن هذه المواعظ هي -مواعظ تفسيرية- تدور في فلك النص الكتابي الذي يحفظ المتكلّم من الشرود والتوهان في بحر الكتاب المقدس، فهي بلا شك ستدرّب خادم الكلمة على "تفصيل كلمة الحق بالاستقامة" (٢ تيموثاوس ٢: ١٥)، ليصبح "مقتدراً في الكتب... خبيراً في طريق الرب" (أعمال ١٨: ٢٤ - ٢٥)، يتكلّم على المنبر كلاماً يحفظ السّامع من الملل والضّياع، ويجعله مثقفاً في كلمة الله. عزيزي القارئ، أضع بين يديك هذا الكتاب المستمدّة كلماته، من الكتاب العظيم - كلمة الله - التي قيل فيها: "فَتُخْ كَلَامُكَ يُنِيرُ يُعْقِلُ الْجُهَّالَ" (مزمور ١١٩: ١٣٠)، وأصلي برجاء أن يكون بركة لحياتك.

القس، نبيل سمعان يعقوب.

أحداث سبقت ميلاد المسيح

"١ كِتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ... ١٨ أَمَّا وَلَادَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرَّتُمْ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وَوُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. ١٩ فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرًّا. ٢٠ وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ إِذَا مَلَأَكَ الرَّبُّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: «يَا يُوْسُفُ ابْنِ دَاوُدَ لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرَّتَمَ امْرَأَتِكَ لِأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. ٢١ فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». ٢٢ وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: ٢٣ «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّا نُؤِيلَ» (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللَّهُ مَعَنَا). ٢٤ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوْسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلَأُكَ الرَّبِّ وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ. ٢٥ وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ" (متى ١)

مقدمة: إن الأحداث الرئيسية في الحياة عادة ما تسبقها بعض الأحداث الجانبية لتشير إلى أهميتها. ومن الملاحظ أن الحدث الرئيسي يكون أكثر أهمية كلما كانت الأحداث الفرعية التي تسبقه كبيرة، والعكس صحيح، وكأمثلة على ذلك:

١- عندما يتزوج شابان، نسمي هذا حدثاً رئيسياً، ولكن قبل أن يتحقق لابد أن تسبقه مجموعة من الأحداث الفرعية، كتوزيع بطاقات الأفراح، أو الزيارات المتبادلة بين عائلي العروسين، أو إقامة بعض الحفلات. إن طبيعة هذه الأحداث الفرعية تشير إلى من هما الشابان المتزوجان.

٢- عندما تدعو أحد المعارف إلى مأدعة الطعام، يكون هذا حدثاً رئيسياً تسبقه بعض الأحداث الفرعية، كتسوق الطعام وطريقة إعداده. إن نوعية الطعام والوقت المستغرق في إعداده تُعتبر أحداثاً فرعية، نخبرنا من هو هذا المدعو.

التفسير الوعظي: هكذا أيضاً على صعيد الأمور الروحية، فإن قصة ميلاد المسيح حدث رئيسي، فريد ومهم، قد سبقت بعض الأحداث الفرعية التي نخبرنا من هو المسيح.

جملة انتقالية: هذا النص يجبرنا عن مجموعة من الأحداث الفرعية الكبيرة التي سبقت ميلاد المسيح، الذي ليس له مثيل. سنتأمل فيها لنعرف فعلاً، من هو المسيح.

أولاً- الحبل غير الطبيعي (عدد ١٨).

يبدأ متى إصحاحه هذا بالقول "١ كِتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ"، ونفهم من كلامه أنه يريد أن يجبرنا عن سلسلة أنساب المسيح، وهذا ما فعله إذ قال: "٢ إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ".... إلخ. ولكن إذ يصل إلى العدد (١٨) يقول أمراً غريباً: "أَمَّا وَلَادَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا". وإذ نتبع الكلام نجده يقول: "لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وَجَدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ". إذن، هو يريد أن يقول لنا: إن كل الولادات التي سبقت المسيح إنما هي ولادات طبيعية، بينما ولادة المسيح ليست كذلك! كل الولادات مرتبطة برجل وامرأة، لكن ولادة المسيح حصلت من امرأة دون رجل. وهذا أمر غريب ليس له مثيل في التاريخ، ولن يكون له نظير في المستقبل!

لوقا البشير أيضاً يتشارك مع متى في ذات الأمر، بل ويستفيض في شرحه من خلال الحوار الذي جرى بين مريم، والملاك جبرائيل قائلاً: "لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لِأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ. ٣١ وَهَا أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ... ٣٤ فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟» ٣٥ فَأَجَابَ الْمَلَكُ: «الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَظَلِّلُكَ فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمُؤَلَّدُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ... ٣٨ فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». فَمَضَى مِنْ عِنْدَهَا الْمَلَكُ" (لوقا ١).

سؤال مريم للملاك "كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟" فيه الكثير من الاستغراب، فهي لم تسمع قط أن امرأة بدون رجل يمكنها أن تلد ابناً!

"كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟" إنه سؤال منطقي، وكما حيرها فقد حير الكثيرين على مرّ الأيام، وجعل البعض منهم يعثرون به لأنه لا توجد أية قوانين وراثية تقدر أن تعطي تفسيراً لمثل هذا الحدث.

لهؤلاء الذين عثروا بهذه المعجزة أقول: هل ولادة المسيح من عذراء هي المعجزة الوحيدة في الكتاب المقدس. ألا يتضمن الكتاب المقدس عشرات المعجزات التي لا تقل شأنًا عن هذه المعجزة؟ كإقامة لِعَازَر من بين الأموات بعد دفنه بأربعة أيام. وشفاء المولود الأعشى التي قال فيها اليهود: "مُنْذُ الدَّهْرِ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ أَحَدًا فَتَحَ عَيْنَيْ مَوْلُودٍ أَعْمَى" (يوحنا ٩: ٣٢). وإسكات البحر، إذ قيل عن المسيح وهو في السَّفِينَةِ: "٣٩ فَتَمَّامَ وَاتَّهَرَّ الرِّيحُ وَقَالَ لِلْبَحْرِ: «اسْكُتْ. ابْكَمُ». فَسَكَتَ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ" (مرقس ٤).

من المفيد أن نذكر هنا أن لوقا كاتب الإنجيل هو طبيب، ويعرف تماماً كيف يولد الأطفال، وربما كان من الصعب عليه أن يؤمن بولادة المسيح من عذراء، لكنه مع ذلك صدّق وآمن أن المسيح بسيرته الفريدة لا يمكن أن يكون ابناً لأبوين بشريين. فالذي خرج من عالمنا البشري بطريقة عجائبية، هي القيامة من بين الأموات، لا بد أن يكون قد دخل عالمنا البشري بطريقة عجائبية، هي الولادة من عذراء.

"كيف يكون هذا؟" إن غير المستطاع عند النَّاسِ مستطاع لدى الله الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيَدْعُو الْأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ. علينا أن نفهم أننا بسبب محدوديتنا يَعِثُرُ علينا فَهَمُ الكثير من الأمور، ليس لأنها غير منطقيّة، ولكن لأنها فوق إدراكنا. وهذا ما أكّده المسيح لِنِيقُودِيمُوس الَّذِي لم يفهم معنى الولادة الجديدة، عندما قال له: "إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمْ الْأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمْ السَّمَاوِيَّاتِ؟" (يوحنا ٣: ١٢).

في حديثنا عن فرادة ولادة المسيح من مريم، ينبغي أن ندرك أن الجانب الإعجازي فيه هو الحبل، وليس الولادة التي تمت بشكل طبيعي. بمعنى أن المسيح بقي في أحشاء مريم لمدة تسعة أشهر، ووُلِدَ كَبَقِيَّةِ الْأَطْفَالِ، لكن الحبل به لم يكن طبيعياً

كبقية الأطفال، "لأنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" وليس من رجل. إذن، حدث ولادة المسيح الذي ليس له مثيل، حدث رئيسي، سبقه حدث فرعي هو الحبل غير الطبيعي. إن نوعيته، وقيمة هذا الحدث الفرعي الذي لا يقل أهميته عن الحدث الرئيسي يدفعنا لتساءل: من هو المسيح؟

ثانياً- تحقيق نبوات العهد القديم (عدد ٢٢-٢٣).

إنَّ النبوات الَّتِي قِيلَتْ عَنْ الْمَسِيحِ هِيَ أَيْضاً مِنَ الْأَحْدَاثِ الَّتِي سَبَقَتْ مِيلَادَهُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِثِيلٌ. وسأختار من بين هذه النبوات أهم ما يتعلق بميلاده:

* "وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكَ (الشيطان مثلاً بالحيّة) وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ" (تكوين ٣: ١٥). هذه النبوة تؤكد أن المسيح سيأتي من نسل المرأة وليس من نسل الرجل، وقد تحققت عندما وُلِدَ المسيح من العذراء مريم.

* قَالَ الرَّبُّ لِإِبْرَاهِيمَ: "وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ (المسيح) جَمِيعُ أُمَمِ الْأَرْضِ مِنْ أَجْلِ أَنْتَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي" (تكوين ٢٢: ١٨). هذا العدد اقتبسه الرسول بولس معقّباً عليه بالقول: "وَفِي نَسْلِكَ" الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ" (غلاطية ٣: ١٦)

هذه النبوة تؤكد أن المسيح سيأتي من نسل إبراهيم حسب الجسد. قد يعترض البعض بالقول: كيف يكون المسيح من نسل المرأة، وبذات الوقت من نسل إبراهيم؟ الجواب ببساطة، إنَّ المسيح لا يمت بأي صلة جسدية لإبراهيم، بل هو من نسل المرأة التي هي من نسل إبراهيم، لذلك يقال شرعاً: المسيح من نسل إبراهيم. وقد تحققت هذه النبوة عندما وُلِدَ المسيح من مريم ابنة إبراهيم بحسب الجسد.

* "لَا يَرْوُلُ قَضِيبٌ (صولجان الملك) مِنْ يَهُودًا وَمُشْتَرَعٌ (عصا السلطان) مِنْ بَنِي رَحْلِيهِ (من صلبه) حَتَّى يَأْتِيَ شَيْلُونُ (من له الأمر) وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ" (تكوين ٤٩: ١٠). هذه النبوة تؤكد أن المسيح سيكون من سبط يهوذا، كما

هو واضح في سلسلة أنساب المسيح. "١ كِتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ. ٢ إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ... ١٥... وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. ١٦ وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوسُفَ رَجُلٍ مَرِيَمَ الَّتِي وَلَدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحُ" (متى ١٨). إذن، المسيح ابن مريم، من سبط يهوذا، من نسل إبراهيم حسب الجسد.

إذن، حدث ولادة المسيح الذي ليس له مثيل، حدث رئيسي، سبقه حدث فرعي هو النبوات المتعلقة بميلاد المسيح. إن نوعية، وقيمة هذا الحدث الفرعي الذي لا يقل أهمية عن الحدث الرئيسي يدفعنا لتساءل: من هو المسيح؟

ثالثاً- تعيين مهمة المولود المستقبلية (عدد ٢١).

لاحظ قول الملاك: "فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ". إنه أمرٌ عجيب حقاً، فنحن لم نسمع أبداً أن هناك طفلاً قبل أن يولد يتحدد طبيعة عمله، وماهية خدمته.

قيل عن يوحنا المعمدان شيئاً مشابهاً: "يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ الرَّبِّ... ١٦ وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهُهُمْ" (لوقا ١). لكن هذا كلام في العموميات، لأن كل أنبياء الله دورهم في هذه الحياة أن يردوا كثيرين إلى الربّ إلههم، أمّا عن المسيح فلم يكن الكلام في العموميات، فدوره في هذه الحياة أن يُخَلِّصَ النَّاسَ مِنْ خَطَايَاهُمْ. وهذا ما وَلَدَ لأجله.

بطرس الرسول يؤكد هذه الحقيقة، ويزيد عليها عندما يتحدث عن طبيعة عمل المسيح كمُخَلِّصٍ وفادٍ من الخطيئة بالقول: إِنَّ فِدَاءَ الْمَسِيحِ "مَعْرُوفاً سَابِقاً قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَكِنْ قَدْ أَظْهَرَ فِي الْأَزْمَنَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ" (١ بطرس ١: ٢٠). أي أن دور المسيح لم يتحدد زمنياً وهو في أحشاء مريم، بل قد عُيِّنَ الْمَسِيحُ لِهَذَا الْعَمَلِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، أي قبل أن يخلق الله الإنسان الذي سقط في الخطيئة.

وكنتيجة لذلك، يكونُ المسيح مُنذُ الأزل، طريق المصالحة الوحيد بين الله القدوس، والإنسان الخاطيء. وما قول الملاك ليوسف إلا تأكيداً لهذه الحقيقة.

يا له من رجاء يقدمه الله لكل الناس الخطاة، الذين لا أمل لهم في النجاة من الدينونة الأبديّة، عن طريق مولود بيت لحم، الرب يسوع المسيح.

إذن، حدث ولادة المسيح الذي ليس له مثل، حدث رئيسي سبقه حدث فرعي هو تحديد طبيعة عمل المسيح المستقبلية. إن نوعيّة، وقيمة هذا الحدث الفرعي الذي لا يقل أهمية عن الحدث الرئيسي يدفعنا لتساءل: من هو المسيح؟

رابعاً- انشغال السّماء به (عدد ٢٠).

في العدد التاسع عشر نقرأ: "يُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارًّا وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا أَرَادَ تَخَلِّيَتَهَا سِرًّا".

"يُوسُفُ رَجُلُهَا": أي خطيبها حسب اصطلاح اليهود زمن الخطبة، لأن الخاطب كان يحسب عندهم كالزوج.

"لَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا": أي لم يُرد أن يشتكي عليها للقضاة ويُعرضها للاحتقار والرحم كزانية.

يبدو أن الشكوك قد ساورت يوسف بشأن خطيبته، وأثارت لديه تساؤلات مشروعة يحتاج للإجابة عنها، وهذا أمرٌ طبيعي، لأنّه لم يحدث مثل هذا الحبل غير الطبيعي ولن يحدث. ولكن من ذا الذي يستطيع أن يُقنع يوسف ببراءة خطيبته؟ بلا شك أنّه سأل مريم عن الأمر، وقالت له القصة أكثر من مرة، وأكدت له أنّها لا تفهم كيف حدث، ولا تستطيع شرحه. فإن كان هذا الأمر مشكلة ليوسف، فهو مشكلة أعظم لمريم خطيبته التي قررت أن تخضع للمشيئة الإلهية. فسمعتُها الآن في الميزان، وخطيبها قد يتركها، وحياتها معرضة للموت رجماً.

هل كل الذين يضعون أنفسهم تحت المشيئة السماوية تدور عليهم الدوائر بهذه الطريقة؟

هل كُلُّما أعلن إنسان تمسكه بمبادئ الإنجيل تصبح حياته عرضة للخطر؟
هل محبتنا للمسيح تجلب علينا عداوة العالم؟

مع الأسف، الجواب نعم. فالأمناء الذين يسرون ضد تيار العالم الذي يقوده الشيطان، يضعون أنفسهم في ساحة المواجهة مع كل أجناد الشر الروحية التي تفعل ما بوسعها لإرغام الأمناء على العودة للمسير في تيار العالم، أو مواجهة الموت. يبدو أنه للشيطان معركة صعبة مع الطفل المولود في أحشاء مريم، فهو يريد أن يتخلص منه بأية طريقة قبل أن يظهر للعالم، ولا مانع لديه أن يتخلص سويّةً منه ومن مريم أمّه إن أمكنه ذلك. وها هو يبدأ حربه بالضغط فكرياً على يوسف لإقناعه بترك مريم بحجة الزنا، ليعرضها مع جنينها للموت. وإذ بدا أنه نجح في جعل يوسف مضطرباً وقاب قوسين أو أدنى من تحقيق هدفه، نتساءل: هل كانت السّماء بعيدة عن هذا الأمر؟

يخبرنا متى الرسول، إن السّماء كانت مشغولة بهذا الطفل، وبكل من هو على علاقة به. وها هي ترسل ملاكاً ليتكلم إلى يوسف المضطرب بسبب كثرة الأفكار، ويقنعه بأن الذي حُبِلَ به فيها هو من الروح القدس. ومن غير الملاك الذي يمتلك الحقيقة يستطيع أن يُقنع ويهدئ من روع يوسف المحاصر فكرياً من الشيطان.

كانت مريم حكيمة إذ صمتت عن الكلام، وتركت الأمر للسّماء لتتدخل، لأنها مهما تكلمت لن تملك الحجة لإقناع يوسف البار بما جرى معها، وحسنأً فعلت! تقول كلمة الرب: "ه سَلِّمَ لِلرَّبِّ طَرِيقَكَ وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ وَهُوَ يُجِيرُكَ ٦ وَيُخْرِجُ مِثْلَ النُّورِ بِرُوكَ وَحَقَّقَكَ مِثْلَ الظُّهَيْرَةِ" (مزمو ٣٧).

صحيح أن مريم كانت متألّمة وتحت الضيق، لكن دعونا نذكر قول الكتاب: "فِي كُلِّ ضَيْقِهِمْ تَضَايِقُ وَمَلَأَكَ حَضْرَتِهِ خَلَصَهُمْ" (إشعياء ٦٣: ٩). وأيضاً "الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَاتَّشَمُ تَضْمُنُونَ" (خروج ١٤: ١٤). صمتت مريم تاركة الفرصة للسّماء لتقول

كلمتها، وإذ قالت السماء كلمتها تعلّمت الأجيال إن الضيق علاجه الصمت والسكون في محضر الرب.

إذن، إنّ ولادة المسيح الذي ليس له مثيل، حدث رئيسي سبقه حدث فرعي هو انشغال السماء به. ونوعيّة، وقيمة هذا الحدث الفرعي الذي لا يقل أهميّة عن الحدث الرئيسي يدفعنا لتساءل: من هو المسيح؟

خاتمة:

إن قصة ميلاد المسيح، سبقتها مجموعة من الأحداث الكبيرة التي تشير إلى عظمتها، أهمها:

١- الحبل غير الطبيعي.

٢- تحقيق نبوات العهد القديم.

٣- تعيين مهمة المولود المستقبلية.

٤- انشغال السماء به.

ولأنّ حدث ولادة المسيح الذي ليس له مثيل، حدث رئيسي سبقته أحداث فرعية لا تقل أهميّة عن الحدث الرئيسي، علينا أن نتساءل: من هو المسيح بالنسبة إلينا؟ هل هو شخص عادي دخل التاريخ واقتحم عالمنا؟ أم هو أكثر من ذلك؟

إنّ الكتاب المقدّس يدعوه (المُخلّص)، وإن كان مُخلّصاً؟ فهل خلّصك من خطاياك التي ستقودك إلى الدينونة الأبديّة؟ إن كان جوابك لا، تعال إليه الآن، ولا تضيّع وقتك في انتظار شخص آخر ليُخلّصك، لأن المسيح ليس له مثيل.

ولإلهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.

ملاحظات على نسب المسيح

١٠ كِتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ. ٢ إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. ٣ وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ. وَحَصْرُونَ وَلَدَ أَرَامَ. ٤ وَأَرَامُ وَلَدَ عَمِينَادَابَ. وَعَمِينَادَابُ وَلَدَ نَحْشُونَ. وَنَحْشُونَ وَلَدَ سَلْمُونَ. ٥ وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَا حَابَ. وَبُوعَزُ وَلَدَ عُوبِيدَ مِنْ رَاعُوثَ. وَعُوبِيدُ وَلَدَ يَسَى. ٦ وَيَسَى وَلَدَ دَاوُدَ الْمَلِكِ. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الْيَاسَمِينِ. ٧ وَسُلَيْمَانُ وَلَدَ رَحْبَعَامَ. وَرَحْبَعَامُ وَلَدَ أَبِيَا. وَأَبِيَا وَلَدَ آسَا. ٨ وَآسَا وَلَدَ يَهُوشَافَاطَ. وَيَهُوشَافَاطُ وَلَدَ يُوْرَامَ. وَيُوْرَامُ وَلَدَ عُزْرِيَا. ٩ وَعُزْرِيَا وَلَدَ يُوْشَامَ. وَيُوْشَامُ وَلَدَ أَحَازَ. وَأَحَازُ وَلَدَ حَزَقِيَا. ١٠ وَحَزَقِيَا وَلَدَ مَنَسَّى. وَمَنَسَّى وَلَدَ آمُونَ. وَآمُونُ وَلَدَ يُوْشِيَا. ١١ وَيُوْشِيَا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَنِي بَابِلَ. ١٢ وَبَعْدَ سَنِي بَابِلَ يَكُنْيَا وَلَدَ شَالْتَيْئِيلَ. وَشَالْتَيْئِيلُ وَلَدَ زَرْبَابِيلَ. ١٣ وَزَرْبَابِيلُ وَلَدَ أَبِيهُودَ. وَأَبِيهُودُ وَلَدَ أَلْيَاقِيمَ. وَأَلْيَاقِيمُ وَلَدَ عَازُورَ. ١٤ وَعَازُورُ وَلَدَ صَادُوقَ. وَصَادُوقُ وَلَدَ أَحِيَمَ. وَأَحِيَمُ وَلَدَ أَلْيُودَ. ١٥ وَأَلْيُودُ وَلَدَ أَلْيَعَازَرَ. وَأَلْيَعَازَرُ وَلَدَ مَتَّانَ. وَمَتَّانُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. ١٦ وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يُوْسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وَلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ. ١٧ فَجَمِيعُ الْأَجْيَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا وَمِنْ دَاوُدَ إِلَى سَنِي بَابِلَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا وَمِنْ سَنِي بَابِلَ إِلَى الْمَسِيحِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ جِيلًا" (متى ١)

مقدمة: لكل شخص منا سلسلة أنساب تُستخدم للتأكيد على بعض حقوقه العائلية، كالنسب، أو الميراث، أو الملكية، أو غيرها. وفي كثير من المجتمعات تُستخدم هذه السلسلة حتى اليوم للتأكيد على مكانة الشخص الاجتماعية. فهي إذًا، ضرورة لا غنى عنها.

التفسير الوعظي: هكذا أيضاً بالنسبة ليسوع المسيح، فقد سجّل له العهد الجديد سلسلتي أنساب، الأولى في متى، والثانية في لوقا. ويبدو بحسب الظاهر وجود تباين بينهما، لكن القراءة المتأنية للنصين كافية لإزالة هذا التباين. (فمَتَّى يذكر

لنا سلسلة أنساب يوسف رجل مريم الذي يحق له الجلوس شرعاً على عرش داود بحسب الاختيار الإلهي، أما لوقا فيذكر لنا سلسلة أنساب مريم التي ولد منها المسيح. وبالتالي يكون المسيح قد جمع في شخصه الأساسين الوحيدين للمطالبة بعرش الملك على الأمة اليهودية، الشرعي والوراثي. فسلسلة الأنساب إذاً، ضرورة لا غنى عنها.

جملة انتقالية: لأن سلسلة النسب لا غنى عنها، سأضع بعض الملاحظات على سلسلة أنساب المسيح، للتأكيد على بعض الأمور الهامة المختصة به.

أولاً- يسوع المسيح هو الوريث الشرعي الأخير لمملكة داود.

يبدأ متى سلسلة أنساب المسيح بالعبارة "كَتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ"، مبتدئاً من رأس الشجرة اليهودية إبراهيم، نزولاً إلى الملك داود الذي "أَقْسَمَ الرَّبُّ لِدَاوُدَ بِالْحَقِّ لَا يَرْجِعُ عَنْهُ: مِنْ ثَمَرَةِ بَطْنِكَ أَجْعَلُ عَلَى كُرْسِيِّكَ" (مزمور ١٣٢: ١١)، من "يَكُونُ عَظِيماً وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ إِلَهُ كُرْسِيِّ دَاوُدَ أَبِيهِ ٣٣ وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ" (لوقا ١).

وهكذا يتتبع في أنسابه الاختيار الإلهي بدءاً من إبراهيم إلى اسحق إلى يعقوب إلى يهوذا حتى يصل إلى داود الملك. ثم يتتبع الأبناء المختارين الذين ورثوا الملكية بعد داود، أي الخط الملكي المتحدّر من داود بطريق ابنه سليمان -المختار من الله- الذي ملّك بعده، لتنتهي هذه السلسلة بيوسف الذي كان يسوع ابنه بالتبني، وهذا واضح من قول متى: "وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَوْسُفَ رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا يَسُوعُ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ"، أي الممسوح من الله أو المختار من الله ليكون الوريث البكر لعرش داود. فيضع القارئ أمام هذه الحقيقة: إنّ يسوع المسيح هو الوارث الشرعي لحقّ الملك على عرش داود من طريق يوسف. لكن السؤال: هل المسيح هو الوارث الأخير أم هناك أبناء آخريّن من يوسف لهم حق الجلوس على عرش داود؟

في سلسلة الأنساب هذه نجد ملكاً اسمه يَكُنْيَا، قال عنه الرَّبُّ: "اَكْتَبُوا هَذَا الرَّجُلَ عَقِيماً رَجُلًا لَا يَنْجَحُ فِي أَيَّامِهِ لِأَنَّهُ لَا يَنْجَحُ مِنْ نَسْلِهِ أَحَدٌ جَالِساً (في الجلوس) عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَحَاكِماً بَعْدُ فِي يَهُودَا" (ارميا ٢٢: ٣٠). من نسله جاء يُوْسُفُ الذي وقع تحت هذا الحُكْم. فلو كان المسيح من نسل يوسُف حسب الجسد، لوقعنا في مشكلة، لأنه سينطبق عليه ما انطبق على يوسُف وَيَكُنْيَا. ولكن إذ وُلد يسوع بمعجزة من العذراء مريم انتهت هذه المشكلة، لأنَّ الحُكْم لم يقع على مريم، أو مولودها، لأنها ليست من سلالة يَكُنْيَا. وهذا يقودنا إلى نتيجة هامة يجب أن يعرفها اليهود الرافضين للمسيح من خلال هذه السلسلة: أنَّ يسوع عندما كان حياً لا وجود لمُطَالِبٍ غيره بالعرش، وإذ صُلب ومات، لم يبقَ لشعب إسرائيل ملكاً يتحدَّر من نسل داود ليملك عليهم. وإن وجدوا، وهم لن يجدوا، فسيكون من نسل يوسُف، الذي هو من نسل يَكُنْيَا، الذي "لَا يَنْجَحُ مِنْ نَسْلِهِ أَحَدٌ جَالِساً عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَحَاكِماً بَعْدُ فِي يَهُودَا". إذن، سلسلة الأنساب الواردة في مطلع إنجيل متى ضرورة تؤكد أن المسيح هو الوريث الشرعي الأخير لمملكة داود.

ثانياً- يسوع المسيح هو ابن الإنسان.

تؤكد سلسلة الأنساب هذه أن ربنا يسوع المسيح قد صار ابناً للإنسان بولادته من امرأة. ولكن رُبَّ قائلٍ يقول: ألم يكن بإمكانه أن يصير إنساناً لو لم يولد من امرأة؟ الجواب على ذلك، لماذا يتجنب الميلاد من امرأة؟

إن الذين يقولون: لا داعي للمسيح أن يولد من امرأة، هم على الغالب يفترضون أن رحم المرأة سينجسه، لأنه سيأخذ من الطبيعة البشرية الخاطئة، وهذا غير صحيح. فمريم لم تعطِ المسيح الطبيعة البشرية، بل الرُّوح القدس هو الذي أعطاه هذه الطبيعة، أي أن الله بروحه القدوس صَنَعَ له وجوداً داخل مريم. وهذا ما أكَّده الملاك لمريم، "الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكَ فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمُؤَلَّودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ" (لوقا ١: ٣٥). وأكَّده ليوسُف أيضاً، "لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لِأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ".

إنَّ الأمر الأكثر أهمية عندنا هو، لماذا يتحتم أن يولد المسيح من عذراء، بقوة الروح القدس؟ الجواب: لأن عملية الفداء تُحتم أن المولود يكون قدوساً بلا أدنى عيبٍ أو خطية حتى يستطيع أن يرفع خطايا البشرية كلها، وبخلاف ذلك، يُحسب موته عن استحقاق له، وليس باستحقاق آخرين، كما يعنيه الفداء.

فإن أراد الله أن يصير إنساناً فادياً للجنس البشري فسيُفعل ذلك ضمن دائرة المنطق والإقناع. لذلك وُلِدَ من امرأة ليملك هوية يقدمها للناس، أي سلسلة أنساب تؤكد أنه قد اشترك معنا في اللحم والدم، إنه قد "صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا" (يوحنا ١: ١٤). وهذا ما أكدته متى عندما قدّم لنا المسيح من خلال سلسلة أنسابه هذه.

وإذ نقرأ سيرة المسيح في الأناجيل نلاحظ التأكيد الشديد على كون المسيح ابن الإنسان، فالملاك قد طلب من يوسف أن يُلقب الطفل، معطياً إياه حق الأبوة رغم أنه ليس من زعره، "فَسَتَلِدُ (مریم) ابناً وَتَدْعُو (أنت) اسْمُهُ يَسُوعَ" (متى ١: ٢١). كما أن مريم كانت تدعو يوسف أباً للمسيح "وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «يَا بُنَيَّ لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذِّبَيْنِ!" (لوقا ٢: ٤٨). والكتاب يشهد أن يسوع كان يتعامل مع مريم ويوسف كما يتعامل الطفل مع أبويه، "ثُمَّ تَرَلَّ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعاً لَهُمَا" (لوقا ٢: ٥١). والناس قالوا عن يسوع: "أَلَيْسَ هَذَا هُوَ يَسُوعَ بْنُ يَوْسُفَ الَّذِي نَحْنُ عَارِفُونَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ" (يوحنا ٦: ٤٢).

قال الرب يسوع لليهود "«مَاذَا تَظُنُّونَ فِي الْمَسِيحِ؟ ابْنُ مَنْ هُوَ؟» قَالُوا لَهُ: «ابْنُ دَاوُدَ»" (متى ٢٢: ٤٢). لأنهم عرفوا الإجابة بسهولة إذ تعلموها من الأنبياء. فقال لهم: "فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبّاً فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟" (متى ٢٢: ٤٥). فلم يستطع اليهود أن يجيبوه. هذا هو يسوع في الإنجيل، بمقدار ما أكد ربوبيته لداود، لم ينكر بنويته له.

هنا قد يعترض البعض بالقول: كيف يُحسب يوسف أباً للمسيح وهو ليس ابنه الحقيقي؟ الجواب يقدمه لنا الكتاب المقدس، عندما يؤكد أن النبوة لا ترتبط بالميلاد الطبيعي فقط، بل أيضاً بالاختيار المبني على الإرادة الحرة.

فهناك نساء مثل سارة وراحيل وليئة لم يكن لهن أطفالاً من ذواتهن، فتبنين أطفالاً وُلدوا بواسطة أزواجهن عن طريق جواريهن. وكذلك موسى الذي وُلد من أم عبرية تبنته ابنة فرعون.

فإن كان قد سُمح للنساء أن يتبنين الذين لم يلدنهن، فلماذا لا يُسمح للرجال أن يكون لهم ذلك؟ أي يتبنون الذين لم ينجبوهم من أجسادهم. ولنا مثال في ذلك يعقوب أبو الأسباط، الذي كان أباً لأبناء كثيرين ومع ذلك جعل من أحفاده أولاد يوسف، أبناء له، بالقول ليوسف: "وَالآن ابْنَاكَ الْمَوْلُودَانِ لَكَ فِي أَرْضِ مِصْرَ قَبْلَمَا أَتَيْتُ إِلَيْكَ إِلَى مِصْرَ هُمَا لِي. أَقْرَأَيْمَ وَمَنْسَى (يِرثاني) كَرَأُوبَيْنَ وَشَمْعُونَ (أولادي) يَكُونَانِ لِي" (تكوين ٤٨: ٥).

أضف إلى هذا، إنَّ الشريعة كانت توصي أن يتزوج الأقرباء زوجات قريبهم التالي الذي مات دون إنجاب نسل، لكي يقيموا له نسلًا. فالذي يولد هكذا يكون ابناً للذي أنجبه، كما يكون ابناً للذي يُنسب له.

إذن، سلسلة الأنساب الواردة في مطلع إنجيل متى ضرورة، تؤكد أن المسيح ابن الله قد صار ابناً للإنسان. أي تَشَارَكَ معنا فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ، دون أن يَشْتَرِكَ في خطايانا.

ثالثاً- تواضع يسوع المسيح.

يكفي أن نقرأ في الكتاب المقدس إن الله "أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ" (فيلبي ٢: ٧). حتى ندرك أن تواضعه ليس له حدود. لكن أن نقرأ إنَّ الله يصير إنساناً بأنسابٍ مثل هذه، فهذا شيء يفوق الإدراك، والتوقع!

في سلسلة أنساب المسيح هناك أشخاص عاديون مثل حَصْرُونَ، وَأَرَامَ، وَخَشُون. وهناك أشرارٌ مثل أَبِيَّا وَمَنْسَى. وهناك أمم - ليسوا يهود - مثل زَاخَاب، وَرَاعُوث. والسؤال: كيف يمكن للمسيح أن يقبل سلسلة أنساب مثل هذه، إن لم يكن في تواضعه، فوق حدِّ التصور؟

نحن كبشر -تحت الخطيئة- لا نتمنى أن يكون لنا سلسلة أنساب مثل هذه، إذ نريد سلسلة أنساب من الأشراف، والأدباء، والعلماء، والأبطال النخبة، من كل ما يمكن أن يقدمنا إلى الأمام. ولكن بالنسبة للمسيح -الله الذي صار إنساناً- لم يعد من فرقٍ لديه أن يكون في نسبه أشخاص مثل هؤلاء، أو غيرهم، لأن لا أحد مهما علا شأنه يستطيع أن يُقدمه إلى الأمام.

وباعتباره شخصٌ لم تجد الكبرياء طريقاً إليه فقد تحدث عن نفسه قائلاً: "تَعَلَّمُوا مِنِّي لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعٌ الْقَلْبِ" (متى ١١: ٢٩). لذلك تراه في تواضعه لا يكتفي فقط بأن يُفتش عن أناس مذبذبين تائبين، مثل زكا العشار، ومرثا المجدلية، واللص الذي صُلب معه، ليقمهم من مزابل هذا العالم، بل ها هو يعتبرهم أخوة له كقول الكتاب: "لَا يَسْتَحْيِ أَنْ يَدْعُوهُمْ (الخطاة الذين آمنوا به) إِخْوَةً، ١٢ قَائِلًا (لِلآبِ السَّمَاوِيِّ): «أُخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسْطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ»" (عبرانيين ٢: ١١-١٢). وبناء عليه، يُرفعهم ويجلسهم معه في المجد!

يا للعجب! مع أنَّ ارتباطه بنا لا يجلب له الشرف والمجد باعتبارنا خطاة، لكننا مع ذلك نراه لا يستحي أبداً أن يكون أحياناً، ومخلصاً لمذبذبين تائبين.

لو كان الأمر عائدٌ لنا في اختيار سلسلة أنسابنا، أو من يمكن أن ندعوهم أخوة لنا، لتبرأنا من كل الخطاة، واخترنا أشراف الناس، أي عكس ما فعل المسيح. لكن نشكر الله لأن هذا ليس تفكير مسيحن المتواضع الذي قبل سلسلة الأنساب هذه ليقول لنا: إنه لا يستحي أبداً أن يكون أحياناً للخطاة التائبين.

أليس في هذا تعزية لنا، ولكل الباحثين عن الحياة الأبدية السعيدة؟

إذن سلسلة أنساب المسيح الواردة في مطلع إنجيل متى ضرورة تؤكد أن يسوع المسيح شخصٌ متواضعٌ.

رابعاً - يسوع المسيح مُخلص الجميع.

في قراءتنا لسلسلة الأنساب نستغرب لماذا لم يذكر لنا متى أسماء نسوة افتخر بهن جميع اليهود، مثل سارة، امرأة إبراهيم. ورفقة، امرأة اسحق. وراحيل، امرأة يعقوب. وغيرهم؟ ولماذا ذكر بالمقابل، راعوث المואبية، وراحاب الكنعانية، وثامار، وبشبع. ألا يعني هذا أن التركيز في جدول أنساب المسيح كان على مركز الضعف وليس القوة، ليتأكد لنا أن المسيح لم يأت ليدعو أبراراً بل خطاةً إلى التوبة، وأنه فادي الخطاة وشفيع المذنبين. وأن فيه تنهدم حواجز الاختلافات العرقية والجنسية. وأنه كما أحب خراف بيت إسرائيل الضالة، أحب الذين خارج السياج، وفي مفارق الطرقات، وأزقة الشوارع.

أعظم ما في ذبيحة المسيح أن أثرها رجعي أيضاً، فكل الذين ذكرت أسماءهم في سلسلة الأنساب والذين لم تُذكر أسماءهم، الذين لو ثبتهم الخطية بكل أشكالها وطرقها، الذين آمنوا بالمسيح، قد غسلهم دمه كما قد غسلنا أيضاً. وكما قد تزكينا نحن في المسيح تزكوا هم أيضاً. ولم يعد السؤال ذا قيمة، لماذا ذكر الخطاة في سلسلة الأنساب؟ "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦).

إن سلسلة الأنساب تؤكد لنا أن المسيح ليس حِكراً على أمة أو طائفة أو قبيلة أو عرق أو جنس. إنه ليس لخاصة معينة، بل لكل العالم، وللجميع نصيب فيه، وكل من يؤمن به لن يدان.

إن المسيح بكونه مُخلص الجميع، قد كسر كبرياء الناس، وأظهر استقلال الله في اختيار الذين سيكونون في عداد المخلصين، وفتح الطريق للمتواضعين من الأديان، والمزدرى، وغير الموجود، لقبول خلاصه.

لو كان الأمر منوطاً باليهود لقالوا عن الأمم-غير اليهودية- أنهم كلاب.

لو كان الأمر منوطاً باليونانيين لقالوا عن اليهود: جُهَال لا يستحقون الحياة.

لو كان الأمر منوطاً بهتلر لقال عن كل الناس: أنهم صنف ثانٍ.

لكن نشكر الله من أجل خطة خلاصه التي لا تستثني كل من نظر إليه بعين الإيمان.

إذن، سلسلة الأنساب الواردة في مطلع إنجيل متى ضرورة تؤكد أن يسوع المسيح مستعد لقبول التائبين مهما كانت خطاياهم، فهو مخلص الجميع.

خامساً- استخدام الله مختلف النوعيات من الناس لإتمام إرادته.

في سلسلة الأنساب أشرار وقديسون، أمم ويهود. وقد استخدمهم الله جميعاً لإتمام مقاصده بمحيي المسيح لخلاص العالم. فأعمال الله ليست محصورة في دائرة دون أخرى، في اليهود دون الأمم، أو في القديسين دون الأشرار. إنه يعمل كل ما يراه مناسباً، وبكل الأساليب التي توفق قداسته لإتمام مقاصده.

إنه يعمل من خلال الرؤى والآيات والعجائب.

إنه يعمل من خلال الوعظ والتعليم والترنيم.

إنه يعمل من خلال الحروب ومن خلال السلام.

إنه يعمل من خلال المرض ومن خلال الصحة.

إنه يعمل من خلال الظروف المواتية والظروف غير المواتية.

إنه يتعامل مع الجميع كل بحسب ما يفهم. فعامل شاول بقساوة ليتوب، وأرسل ملاكاً لكرنيليوس، وحاور نيقوديموس، وزار زكّا العشار، وأخرج الشياطين من المجدلية. وأيضاً يستخدم الجميع لإتمام مقاصده، فاستخدم راحاب وثامار وداود ومنسى ويكنيا، واستخدم السبي، وكل هذا، لأنه لا يشاء أن يَهْلِكَ أناس بل أن يُقْبَلَ الجميع إلى التوبة.

وكما استخدم الله جميع أنواع الناس، والظروف، ليأتي بابنه إلى العالم فإنه اليوم يستخدم مختلف النوعيات من الناس، والظروف، لإتمام إرادته بخلاص النفوس. إذن، سلسلة الأنساب الواردة في مطلع إنجيل متى ضرورة تؤكد أن الله يستخدم مختلف النوعيات من الناس لإتمام إرادته.

سادساً- صدق الله في حفظ وعده.

لقد وعد الله قبل حوالي أربعة آلاف سنة، أنه بنسل إبراهيم تتبارك كل قبائل الأرض، وهذا الوعد تضمن قيام مخلص من بيت داود، وقد تبرهن من خلال سلسلة الأنساب أن يسوع كان فعلاً المخلص ابن داود، ابن إبراهيم. فيكون الله بذلك قد أتم وعده ولم يُعَقِّه شيء، لا شيخوخة إبراهيم، ولا عُقم سارة. لا عبودية نسله في مصر، ولا تدمرهم في البرية. لا خطية داود، ولا خطايا الملوك الذين جاؤوا بعده. ولا حتى سبي شعبه بعد انحطاط مملكتهم.

"قَدْ حَلَفَ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلاً: إِنَّهُ كَمَا قَصَدْتُ يَصِيرُ وَكَمَا نَوَيْتُ يَنْبُتُ" (إشعيا ٤٤: ٢٤). لأنه القائل: "رَأَيْتُ يَقُومُ وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي" (إشعيا ٤٦: ١٠).

إن صدق الله في حفظ مواعيده عامل مهم في إيماننا، لأنه في أحيان كثيرة نجد أن الأحداث والظروف تسير بشكل معاكس لتوقعاتنا، أو بخلاف ما توقعه الرب لنا، فنسارع إلى القول: إن الرب لم ينجح في هذا الأمر، لأن الأحداث ذاهبة من سيء إلى أسوأ. لكن هذا غير صحيح.

فلننظر إلى الشعب في أرض العبودية لأكثر من أربعمئة سنة، ألم يكن بينهم من قال بحيرة: كيف سننال الوعد، ونرث أرضاً تفيض لبناً وعسلاً، ونحن عبيد تحت السخرة؟ كيف سننحرر ونغلب من هو أقوى منا؟

نعم كانوا عبيداً، ولكن الله باركهم ليصبح عددهم حوالي مليوني شخص بعد أن كانوا نحو اثنين وسبعين شخصاً. وإذ حان الوقت تدخل الله بقوة ليقبض الموازين، ليس بقدرته العبيد، لكن بذراعه الرفيعة التي صنعت العجائب. وهكذا حافظ عليهم تحت العبودية دون أن يفنوا من ثقل الظروف، وأخرجهم بالقوة ليرثوا الوعد.

إن مواعيد الله كلها تمت ضمن الظروف المستحيلة بشرياً، ولو كانت تتم بخلاف ذلك ما الحاجة لها، ألسنا نحن بقادرين على العمل ضمن الممكن؟ إن طرق الله عجيبة وفي جميعها يريد أن يقول لنا: "لأنكم بدؤوني لا تقدرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً" (يوحنا ١٥: ٥).

ليكن الله صادقاً وكلُّ إنسانٍ كاذباً. هذا ما تخبرنا إياه سلسلة أنساب المسيح. فلنتشجع ونلقني بكل رجائنا عليه، لأنه لا بد متمم مواعيده من نحونا جميعاً. إذن، سلسلة الأنساب الواردة في مطلع إنجيل متى ضرورة تؤكد صدق الله في حفظ مواعيده.

خاتمة:

إن سلسلة أنساب المسيح لا غنى عنها، لأنها تؤكد على الأمور التالية:

أولاً- يسوع المسيح هو الوريث الشرعي الأخير لمملكة داود.

ثانياً- يسوع المسيح هو ابن الإنسان.

ثالثاً- يسوع المسيح شخص متواضع.

رابعاً - يسوع المسيح مُخَلَّص الجميع.

خامساً- استخدام الله مختلف النوعيات من الناس لإتمام إرادته.

سادساً- صدق الله في حفظ وعده.

كائناتاً ما كنت، المسيح يبحث عنك لأنه يحبك، تعال إليه في كل ظروفك، وثق بانه قادر أن يهزم ضعفك، ويعطيك الحياة الأبدية. لا تنتظر غيره. آمن به فتخلص، وتمسك بإيمانك به، واحسب كل ما عداه نفاية، لأن إيمانك هذا، هو ضمان حياة الأبدية.

ولإلهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.

صِفَاتُ مَنْ وُلِدَ لَنَا

"١٤ وَلَكِنْ يُعْطِيكُمْ السَّيِّدُ تَفْسُوهَ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّاثُوئِيلَ». ١٥ زُبْدًا وَعَسَلًا يَأْكُلُ مَتَى عَرَفَ أَنْ يَرْفُضَ الشَّرَّ وَيَخْتَارَ الْخَيْرَ. ١٦ لِأَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الصَّبِيُّ أَنْ يَرْفُضَ الشَّرَّ وَيَخْتَارَ الْخَيْرَ تُخْلَى الْأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ خَاشٍ مِنْ مَلِكَيْهَا" (إشعيا ٧).

"٢٠ وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ إِذَا مَلَكَ الرَّبُّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: «يَا يُوسُفُ ابْنِ دَاوُدَ لَا تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لِأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. ٢١ فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». ٢٢ وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: ٢٣ «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَيَدْعَوْنَ اسْمَهُ عِمَّاثُوئِيلَ» (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللَّهُ مَعَنَا) (متى ١).

"١ وَلَكِنْ لَا يَكُونُ ظِلَاقٌ (شَدَّةٌ) لِلَّتِي عَلَيْهَا ضِيقٌ. كَمَا أَهَانَ (أَذَلَّ اللهُ فِي) الزَّمَانِ الْأَوَّلِ أَرْضَ زَبُولُونَ وَأَرْضَ تَفْتَالِي يُكْرِمُ (اللهُ فِي الزَّمَنِ) الْأَخِيرِ (تِلْكَ الْأَنْخَاءُ مَا بَيْنَ) طَرِيقِ الْبَحْرِ (و) عَبْرَ الْأُزْدُنِّ جَلِيلِ الْأُمَمِ. ٢ اكْشَعِبِ السَّالِكِ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلَالٍ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ. ٣ أَكْثَرَتِ الْأُمَّةُ. عَظُمَتِ لَهَا الْفَرْحُ (بِأَنَّ) رُبَّ). يَفْرَحُونَ أَمَامَكَ كَالْفَرْحِ فِي الْحَصَادِ. كَالَّذِينَ يَبْتَهِجُونَ عِنْدَمَا يَقْتَسِمُونَ غَنِيمَةً. ٤ لِأَنَّ نِيرَ ثِقَلِهِ (النَّيِّرَ الَّذِي أَثْقَلَهُمْ) وَعَصَا كَتِفِهِ (وَالْحَشْبَةَ الَّتِي بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ) وَقَضِيبَ مُسَخَّرِهِ (مُسَخَّرِيهِمْ) كَسَرْتَهُنَّ كَمَا فِي يَوْمِ مَدْيَانَ. ٥ لِأَنَّ كُلَّ سِلَاحِ الْمُتَسَلِّحِ فِي الْوَعْيِ (الْمَعْرَكَةِ) وَكُلِّ رِذَاءٍ مُدْخَرٍ (مُلْطَخٍ) فِي الدَّمَاءِ يَكُونُ لِلْحَرْبِ مَآكِلًا لِلنَّارِ. ٦ لِأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَتُعْطَى ابْنًا وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيًّا مُشِيرًا إِلَهَا قَدِيرًا أَبَا أَبَدِيًّا رَئِيسَ السَّلَامِ. ٧ لِنُمُو رِيَاسَتِهِ وَلِلسَّلَامِ (فِي مَمْلَكَتِهِ) لَا نِهَآيَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ لِيُسَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ مِنَ الْآنَ إِلَى الْأَبَدِ. غَيْرُهُ رَبُّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هَذَا" (إشعيا ٩: ١-٧).

"١٣ وَتَرَكَ النَّاصِرَةَ وَأَتَى فَسَكَنَ فِي كَفَرِنَا حُومَ الَّتِي عِنْدَ الْبَحْرِ فِي ثُحُومِ زُبُولُونَ وَتَفْتَالِيمَ ١٤ لِكَيْ يَسَمَّ مَا قِيلَ بِإِسْعِيَاءَ النَّبِيِّ: ١٥ «أَرْضُ زُبُولُونَ وَأَرْضُ تَفْتَالِيمَ طَرِيقُ الْبَحْرِ عَبْرَ الْأَرْدُنِّ جَلِيلُ الْأُمَمِ- ١٦ الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظِلْمَةٍ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظِلَالِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ» (متى ٤: ١٣-١٦).

مقدمة: يخبرنا إشعيا في الإصحاح السابع من سفره أن (رصين) مَلِكُ أَرَامَ صَعِدَ مع (فَقَحَ بْنَ رَمَلِيَا) مَلِكِ إِسْرَائِيلَ لمحاربة (آحَازَ بْنَ يُوْنَاثَمَ) مَلِكِ يَهُودَا، بسبب رفضه التحالف معهما، ومع مصر ضد أَشُورَ. فخاف آحاز خوفاً شديداً، وأراد الاستعانة بأشور. فقال الرَّبُّ لِإِسْعِيَاءَ: "اُخْرُجْ لِمُلَاقَاةِ آحَازَ... وَقُلْ لَهُ: احْتَرِزْ وَاهْذَأْ. لَا تَخَفْ وَلَا يَضْعُفُ قَلْبُكَ". أي لا داعي للاستعانة بأشور لأن الرب سيخلصك من مَلِكِي أَرَامَ وإسرائيل. ولكن آحاز لم يطمئن إذ ظنَّ أن الاتكال على أَشُورِ خيرٌ من الاتكال على الرب.

ثُمَّ عَادَ الرَّبُّ فَقَالَ لِآحَازَ: «أُطْلُبْ لِنَفْسِكَ آيَةً» ليتأكد من المعونة الإلهية، لكنه رفض أن يسأل آية، لأنه كان قد قرر الاستعانة بأشور. فقال له إشعيا: "وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعُذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ أَبْنَاءً وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّاوُئِيلَ»... لِأَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ الصَّبِيُّ أَنْ يَرْفُضَ الشَّرَّ وَيَخْتَارَ الْخَيْرَ تَحْلِي الْأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ خَاشٍ مِنْ مَلِكِيهَا".

ف فهم الذين سمعوا إشعيا إنها نبوة لمستقبل قريب، أي أن عذراء غير مذكورة باسمها ستزوج، وتحبل، وتلد ابناً، وقبل أن يعرف أن يرفض الشر ويختار الخير أي قبل أن يبلغ نحو سن الثلاث، تخلص الأرض من ملكيها، أي يموت (رصين) و(فحق) كليهما. لكن الآية تقول أكثر من ذلك، فصيغة الكلام "يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً" تدل على حادثة أعظم. حيث السَّيِّدُ يعطي، نفسه آيةً، وليس يعطي آيةً من السَّماءِ، أو الأرض. أي هو نفسه يصير آية، لا ليخلص من أَشُورِ لأن هذا أمر بسيط، بل ليخلص من أمرٍ أعظم من أَشُورِ بكثير.

اقتبس متى هذه الآية بعد حوالي ٧٠٠ عام ليقول لنا، إنها تشير إلى يسوع الذي وُلِدَ من عذراء، "هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّا نُوئِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: أَلَّهُ مَعَنَا" (متى ١: ٢٣). فأدركنا إن السَّيِّدَ الرَّبَّ أعطانا نفسه آيةً عندما تجسد من العذراء مريم. فيسوع المسيح هو عِمَّا نُوئِيلَ، الذي تفسيره الله معنا. أمّا الغاية من هذه الآية فيخبرنا عنها متى بالقول: "فَسَتَلِدُ (مريم) ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ"، وهو عين ما يخبرنا عنه إشعياء في الإصحاح التاسع عندما يتكلّم عن زمانين:

الرَّيْثَانُ الْأَوَّلُ: يبدأ مع الغزو الآشوري، حيث تنبأ إشعياء بأن أرض يهوذا ستُحرب بواسطة آشور، الأمة التي اتكل عليها المَلِكُ آحاز وشعبه، دون الرب، وهذا إيذانٌ ببداية الأيام السوداء لإسرائيل. فقدّم صورة كئيبة لأولئك الذين كانوا حائبين ويائسين، لأنهم قد رفضوا تصديقه.

الرَّيْثَانُ الْآخِرُ: يبدأ مع نهاية الغزو الآشوري وهو زمن الخلاص من آشور، زمن الرجاء. فالظلام المذكور في (٨: ٢٢) سيصير نوراً "كَشَعْبِ السَّالِكِ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا"، والكآبة ستتحول إلى فرح "عَظَّمْتَ لَهَا الْفَرْحَ"، والعبودية ستتحول إلى حريّة "لأنّ نِيرَ ثِقَلِهِ وَعَصَا كَيْفِهِ وَقَضَيْبَ مُسَحَّرِهِ كَسَرْتَهُنَّ". فكما أهان الله في الزمان الأول، أرض زَبُولُونَ وَأَرْضُ تَفْتَالِي بمجيء آشور لمذلّة شعب يهوذا، يُكْرِهُمُ الله في الزمان الأخير أرض زَبُولُونَ وَأَرْضُ تَفْتَالِي التي كانت في طليعة البلدان التي قاست من الغزو الآشوري.

وهنا يقتبس متى أيضاً من هذا الإصحاح ليقول لنا: صحيح أن إشعياء تحدّث عن خلاصٍ من آشور، لكنّه تكلم عن خلاصٍ مستقبلي أعظم من هذا مرتبط بشخص المسيح. فبالتوازي مع ضيق آشور، كلّمنا إشعياء عن عدوٍ أخطر من آشور، له نير أقوى من نير آشور. إنّهُ نير الخطيّة. وعن خلاصٍ من هذا العدو سيتم مستقبلاً بواسطة المولود من عذراء، الذي ذكره في (٧: ١٤). وتكلم عنه ثانية، ووصفه بالقول، " ٦ لِأَنَّهُ يُوَلَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا وَتَكُونُ الرِّيَّاسَةُ عَلَى

كَتَفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلَهَا قَدِيراً أَبَا أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلَامِ. ٧ لِنُثْمُو رِياسَتِهِ وَلِلسَّلَامِ لَا هَيْأَةَ". إِذَا "الشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ... الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ضَلَالٍ الْمَوْتِ" لَيْسُوا يَهُوداً فَقَطْ، بَلْ كُلُّ الْأُمَمِ. وَعِنْدَمَا يُولَدُ مَنْ يُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً، سِيَشْرِقُ "عَلَيْهِمْ نُورٌ"، يَكْسِرُ قِيودَ الظُّلْمَةِ وَالْخَطِيئَةِ فِي حَيَاتِهِمْ.

وَكَخِلاصَةٍ، يَقُولُ لَنَا مَتَّى الْبَشِيرُ: إِنْ نَبَوِي إِشْعِيَاءَ عَنْ عِمَانُوئِيلَ، وَعَنْ الَّذِي تَكُونُ الرِّياسَةُ عَلَى كَتَفِهِ، تَتَحَدَّثَانِ عَنْ شَخْصٍ وَاحِدٍ جَاءَ عَلَمُنَا لَغَرَضٍ وَاحِدٍ، هُوَ إِنْقَاذُنَا مِنَ الْخَطِيئَةِ. وَقَدْ تَمَتَّا حَرْفِياً فِي شَخْصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، حَيْثُ كَانَ النَّاسُ يَعِيشُونَ فِي ظُلْمَةِ الْخَطِيئَةِ حَتَّى أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورُ الْمَسِيحِ الَّذِي "تَرَكَ النَّاصِرَةَ وَأَتَى فَسَكَنَ فِي كَفَرْنَاحُومَ الَّتِي عِنْدَ الْبَحْرِ فِي ثُحُومِ زَبُولُونَ وَتَفْتَالِيمَ ١٤ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ: ١٥ «أَرْضُ زَبُولُونَ وَأَرْضُ تَفْتَالِيمَ طَرِيقُ الْبَحْرِ عَبْرَ الْأُرْدُنِّ جَلِيلُ الْأُمَمِ- ١٦ الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُوراً عَظِيباً وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظُلَاكِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ»".

مَا أَرَوْعَهُ مِنْ يَوْمٍ فِيهِ "الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا" (يُوحَنَّا ١: ١٤). وَصَارَ نُوراً وَفَرِحاً وَحَرِيَّةً، لِلْجَالِسِينَ فِي ظُلْمَةِ الْخَطِيئَةِ وَكُورَةِ الْمَوْتِ.

قَالَ إِشْعِيَاءُ عَنِ الْمَسِيحِ - كَلِمَةُ اللَّهِ - الَّذِي صَارَ جَسَداً: "يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ". وَالْغَرِيبُ فِي الْأَمْرِ، مَعَ أَنَّهُ وُلِدَ مِنْ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ، فَهُوَ لَهَا، وَلَنَا جَمِيعاً. وَهَذَا الْمَوْلُودُ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ لَنَا جَمِيعاً، هُوَ ابْنُ لَغَيْرِنَا، هُوَ ابْنُ اللَّهِ، فَمَعَ أَنَّهُ يُولَدُ لَنَا، لَكِنَّهُ عَطِيَّةُ اللَّهِ لَنَا. ثُمَّ يَتَكَلَّمُ عَنْ مَجْمُوعَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ سَنَتَأَمَّلُ فِيهَا بِنِعْمَةِ الرَّبِّ لِنَدْرِكَ عَمَقَ احتياجنا له.

أولاً- تكون الرِّياسَةُ عَلَى كَتَفِهِ.

الرِّياسَةُ أَيْ السِّيَادَةُ، فَالَّذِي وُلِدَ لَنَا هُوَ الرَّئِيسُ، الْحَامِلُ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ، الْخَلِيقَةَ بِأَكْمَلِهَا، إِنَّهُ الرَّبُّ. قِيلَ عَنْهُ: رَئِيسُ الْحَيَاةِ، بِمَعْنَى مُعْطِي الْحَيَاةِ. فَهُوَ إِذَا احتِياجُ مَنْ هُمْ أَمْوَاتٌ بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا. وَرَئِيسُ الرُّعَاةِ، بِمَعْنَى الرَّاعِي لِكُلِّ خِدَامِ الْإِنْجِيلِ، مَنْ يَعْنِي بِهِمْ وَيُحَرِّسُهُمْ، وَأَيْضاً رَاعِي الْخِزْفِ الْعَظِيمِ،

فالخراف ليست للخدام بل له. ورئيس السلام، بمعنى معطي السلام. فهو إذا احتياج من يعيش في منازعات وخصومات مع نفسه أو مع الآخرين أو مع الله. ورئيس خلاصهم، بمعنى قائدنا إلى الخلاص. ورئيس كهنتنا العظيم، بمعنى أنه قادر أَنْ يَرْثِي لِضَعْفَاتِنَا، ويكفّر عن خطايانا. فهو إذا احتياج كل مؤمن يشعر بالضعف ويخور في أوقات التجربة. وهو رئيس الإيمان ومُكْمِلُهُ، بمعنى أنه مبدئ إيماننا ومتممه. فهو إذا احتياج كل مؤمن ليكمل طريقه إلى النهاية. ورئيس مُلُوكِ الْأَرْضِ، بمعنى صاحب السيادة والسُّلْطَانِ عليهم. فهو إذا احتياجنا لثلا نقلق من جهة من يسودون في هذا العالم. إنه الرئيس في كل شيء. لندرك عمق احتياجنا له.

ثانياً- يكون اسمه عجيباً.

"قَالَ مُنُوخٌ لِمَلَائِكَةِ الرَّبِّ: «مَا اسْمُكَ حَتَّى إِذَا جَاءَ كَلَامُكَ نُكْرِمُكَ؟» ١٨ فَقَالَ لَهُ مَلَائِكَةُ الرَّبِّ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي وَهُوَ عَجِيبٌ؟»" (قضاة ١٣).

هل هو عجيب لأنه لا يُلفظ أو لا يُقرأ، أو أنَّ أحرفه غير قابلة للفك! لا هذا ولا ذاك، بل إن الكلمة تعني، أنه عجيب في كل أعماله، وتعاليمه، وصفاته.

كان عجيباً في ولادته "الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكَ فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمُؤَلَّدُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ" (لوقا ١: ٣٥). فمع أنه وُلِدَ من مريم، لكنَّ الكتاب المقدس يقول عنه: «ابن الله». من هو هذا؟ إنه عجيبٌ.

كان عجيباً في تواضعه، إذ "أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ" (فيلبي ٢: ٧). لقد صار مثلنا، وعاش بيننا، ولم يكن له أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ. تحمّل الإهانات والشَّتائم بصمْتٍ وصَبْرٍ مع أنَّه قَادِرٌ عَلَى الرَّدِّ، لاحظ قوله لمن ضربه: "إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيّاً فَأَشْهَدْ عَلَى الرَّدِيِّ وَإِنْ حَسَنّاً فَلِمَاذَا تَضْرِبُنِي؟" (يوحنا ١٨: ٢٣). يا له من شخص عجيب.

كان عجيباً في غفرانه للخطايا. وعجيباً في إقامته للموتى. وعجيباً في فتحه لعيون العميان. وعجيباً عندما طَهَّرَ البُرص، وشفى الصُّم. وعجيباً عندما أمر البحر والريح بالقول: اسكُتْ ابكُم، فسَكَت. وعجيباً عندما عرف أفكار البشر. وعجيباً في قبوله الآلام من أجلنا، وحمله لصليب عارنا، كما هو مكتوب: "مِنْ أَجْلِ الشُّرُورِ الْمُؤْضُوعِ أَمَامَهُ احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْحَزَنِ" (عبرانيين ١٢: ٢). وعجيباً في موته الإرادي والنيابي بدلاً عنا، إذ وضع نفسه لأجلنا وهو رئيس الحياة. وعجيباً في محبته لنا، مع أنه "لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يوحنا ١٥: ١٣) نراه قد وضع نفسه ليس لأجل أحبائه بل لأجل أعدائه. وعجيباً في قيامته من بين الأموات، رغم كل ما اتَّخَذَ ضِدَّهُ من إجراءات، ومن حُرَّاس، ومن ختمٍ للقبور، لكنّه قام.

وعجيباً في حضوره وسط كنيسته "لَأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ" (متى ١٨: ٢٠). إنه مع كل أثنين أو أكثر في كل مكان، وفي أي زمان! عجيبٌ. بل عجيبٌ في كونه معنا إلى انقضاء الدهر.

وعجيبٌ في تعاليمه «لَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ إِنْسَانٌ هَكَذَا مِثْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ». (يوحنا ٧: ٤٦). وعجيبٌ في صفاته:

هو بارٌّ، لكنّه حمل خطايا العالم!

هو فقيرٌ، لكنّه الغني الذي له كل الأشياء!

مع أنّه في الأرض، لكنّه أيضاً في السماء، "لَيْسَ أَحَدٌ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا الَّذِي تَرَلَّ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ" (يوحنا ٣: ١٣).

لماذا يدعى اسمه عجيباً؟ لنذكرك عمق احتياجنا له.

ثالثاً- يكون مشيراً.

مشيراً، أي صاحب المشورة، ومعطي الحكمة، بل "الْمُدَّخِرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ" (كولوسي ٢: ٣).

مهما كُنْتَ غنياً، أو حكيماً، أو متعلماً، أو أُمياً، فأنت بحاجة إليه، فهو القائل: "أَشِيرُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ مِنِّي ذَهَباً مُصَفًّى بِالنَّارِ لِكَيْ تَسْتَعْنِيَ" (رؤيا ٣: ١٨).

قال عنه داود: "بِرَأْيِكَ تَهْدِينِي"، وقال عنه يوحنا: "مَهْمَا سَأَلْنَا نَنَالُ مِنْهُ" (يوحنا ٣: ٢٢)، وقال عن نفسه: "مَهْمَا سَأَلْتُمْ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتِمَّ جَدُّ الْآبِ بِالْإِبْنِ" (يوحنا ١٤: ١٣).

ما أحوجنا لمشورته، خاصَّةً في الظروف الصعبة، عندما نحتاج للنصيحة والإنذار. إنه حقاً عجيَّبٌ، إذ "صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنْ اللَّهِ" (١ كورنثوس ١: ٣٠). لماذا؟ لنذكر عمق احتياجنا له.

رابعاً- يكون إلهاً قديراً.

وُلِدَ لَنَا، وقبل أن يُولَدَ لَنَا، كان ابناً لغيرنا، وقبل أن يكون ابناً لغيرنا هو الله. وُلِدَ لَنَا مِنْ مَرِيَمَ، وقبل أن يُولَدَ مِنْهَا، هو ابن الله، وقبل أن يكون ابن الله، هو الله. في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله.

التقى إبراهيم عندما كان عمره ٩٩ عاماً، ولم يكن لديه أولادٌ، وهو خائفٌ أن يرث عبده الْيَعَاذَرُ الدَّمَشَقِيُّ جميع أملاكه. فَقَالَ لَهُ: "أَنَا اللَّهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً" (تكوين ١٧: ١). طمأنه بالقول: الْيَعَاذَرُ الدَّمَشَقِيُّ لَا يَرِثُكَ، لكن الخارج من أحشائك هو يرثك. فالسنين والشيخوخة لا تعني للرب القدير شيئاً. فهو لا يستغل الظروف المواتية لكي يعمل، بل يعمل في أصعب الظروف.

طَلَبَ مِنْ بطرس، ومن معه أن يصطادوا في ظروف مخالفة، وفي أماكن لا تساعد على الصيد، فنجحوا. وطَلَبَ مِنْهُ أَيْضاً أَنْ يُلْقِيَ سَنَارَتَهُ فِي الْبَحْرِ، والسمكة التي

تَعْلَقُ فِيهَا، يَفْتَحُ فَاهَا، وَيُجْرِجُ مِنْهُ قِطْعَةً نَقْدِيَّةً (اِسْتَارًا) لِيَدْفَعَهَا كَضْرِيَّةً لِلْهَيْكَلِ عَنْ كِلَيْهِمَا. إِنَّهُ الْقَدِيرُ!

إِنَّهُ الْإِلَهُ الَّذِي يُخْلَصُ فِي أَتُونِ النَّارِ، أَوْ مِنْ أَتُونِ النَّارِ.

الَّذِي يُخْلَصُ مِنْ جَبِ الْأَسْوَدِ، أَوْ يَحْفَظُ فِي جَبِ الْأَسْوَدِ.

يُخْلَصُكَ فِي الْعَاصِفَةِ، وَمِنْ وَسْطِ الْعَاصِفَةِ، أَوْ يَخْلُصُكَ لِكِي لَا تَدْخُلُ فِي الْعَاصِفَةِ إِنْ أَرَادَ.

إِنَّهُ الْإِلَهُ الْقَدِيرُ، لَا يَوْجِدُ شَيْءَ يَجِدُّهُ، لَا ظَرْفَ وَلَا مَكَانَ وَلَا سُلْطَانَ، كُلَّمَا شَاءَ صَنَعَ. أَلَا يَعْطِينَا هَذَا الْاطْمَئِنَّانَ، فِي الْحَيَاةِ، وَكَذَلِكَ فِي الْمَمَاتِ! كَقَوْلِ الْمَرْمِ: "أَيْضًا إِذَا سِرْتُ فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ لَا أَخَافُ شَرًّا لِأَنَّكَ أَنْتَ مَعِيَ" (مزمور ٢٣: ٤). إِنَّهُ الْقَدِيرُ!! لِمَاذَا؟ لِنَدْرِكَ عَمَقَ احْتِيَاجِنَا لَهُ.

خَامِسًا- يَكُونُ أَبًا أَبَدِيًّا.

يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ، وَقَبْلَ أَنْ يُولَدَ لَنَا هُوَ ابْنُ لَغِيرِنَا، ابْنُ اللَّهِ. وَقَبْلَ أَنْ يَكُونَ ابْنُ اللَّهِ، هُوَ اللَّهُ، وَبِذَاتِ الْوَقْتِ هُوَ أَبٌ. يَعْنِي هُوَ وَلَدٌ، وَهُوَ ابْنٌ، وَهُوَ أَبٌ، وَأَبٌ أَبَدِيٌّ. وَفِي الْأَصْلِ اللَّغَوِيِّ (أَبَا الْأَبَدِيَّةِ) أَيُّ أَبَا لِكُلِّ الدَّهْوَرِ، الَّذِي يَجْمَعُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ فِي شَخْصِهِ.

عِنْدَمَا نَتَحَدَّثُ عَنْ غُفْرَانِهِ، تَذَكَّرْ أَنَّ غُفْرَانَهُ أَبَدِيٌّ.

وَعِنْدَمَا نَتَحَدَّثُ عَنْ رَحْمَتِهِ أَوْ مَحَبَّتِهِ، تَذَكَّرْ أَنَّ رَحْمَتَهُ أَبَدِيَّةٌ، وَكَذَلِكَ مَحَبَّتُهُ.

أَلَيْسَ هُوَ الْقَائِلُ: "مَحَبَّةٌ أَبَدِيَّةٌ أَحْبَبْتُكَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَدَمْتُ لَكَ الرَّحْمَةَ" (إِزْمِيَا ٣١: ٣).

عِنْدَمَا نَتَحَدَّثُ عَنْ خِلَاصِهِ تَذَكَّرْ أَنَّ خِلَاصَهُ أَبَدِيٌّ. لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ (أَبَا الْأَبَدِيَّةِ).

صَحِيحٌ أَنَّ يَسُوعَ قِيلَ عَنْهُ، قَدِيرٌ، لَكِنْ قُدْرَتُهُ لَيْسَتْ فِي التَّدْمِيرِ، وَالْقَتْلِ وَالتَّخْرِيبِ، وَسَفْكِ الدَّمَاءِ. إِنَّهُ قَدِيرٌ بِكَوْنِهِ إِلَهُ صَاحِّحٌ يَحْمِلُ كُلَّ مَعَانِي الْعُطْفِ، وَالْأَبْوَةِ،

والرحمة، والشفقة على أولاده. فقدرتَه تتجلى في أبوته.

أليس هذا كلاماً عجيباً، "غيرُهُ رَبَّ الجنود تفعل هذا".

لماذا هو أباً أبدياً؟ لندرك عمق احتياجنا له.

سادساً- يكون رئيس السلام.

الجميع يبحث عن السلام، ولكن أين السلام؟

"لَيْسَ سَلَامٌ قَالَ إِلَهِي لِلْأَشْرَارِ" (اشعيا ٥٧ : ٢١).

يظن الناس أن السلام يمكن أن يحلّ في وقت ما، بين البشر. لذلك عملوا الأمم المتحدة، ومعاهدات السلام، والسفارات، والخطوط الهاتفية الحمراء بين الدول العظمى لكي يضبطوا أمورهم ويعيشوا بسلام.

لكن الناس من اليوم الذي سقط فيه آدم في الخطية، وإلى الآن، لم يعرفوا السلام. فالحروب تملأ الأرض والضحايا بمئات الملايين. لا توجد دولة في العالم تستطيع أن تعيش مئة سنة دون حروبٍ داخلية، أو خارجية. فمن أين سيأتي السلام؟ والمضحك المبكي أن يقول الناس بعضهم لبعض: السلام عليكم.

قيل عن يسوع المسيح -رئيس السلام- الذي صنع السلام بيننا وبين الله "لِكَيْ يَخْلُقَ الْإِنْسَانَ (أماً ويهوداً) فِي تَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً، صَانِعاً سَلَاماً" (أفسس ٢ : ١٥). فليس نحن من صنع أو يصنع السلام، بل هو. ونحن لا نستطيع أن نعيش السلام إلا لأننا صرنا إنساناً جديداً متصالحاً مع الله في المسيح يسوع، بفضل نعمته.

قال الرب يسوع: "قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِي سَلَامٍ" (يوحنا ١٦ : ٣٣). وأيضاً "سَلَاماً أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا" (يوحنا ١٤ : ٢٧).

إنه رئيس السلام الذي قيل فيه: "لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلَالِ الْمَوْتِ لِكَيْ يَهْدِيَ أَفْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلَامِ" (لوقا ١ : ٧٩).

أذكرُ إنني حضرت مؤتمراً في هولندا في عام (٢٠٠٠ م)، وكان عدد الحضور حوالي اثني عشر ألف شخص، ورغم أننا من جنسيات وقوميات مختلفة، ونتواجد في بقعة جغرافية صغيرة، وننام في مهاجع بالمئات، وحقائب أغلبنا مفتوحة، إلا أن حادثاً واحداً لم يقع، ولم يحتج الفريق المنظم لهذا المؤتمر شرطياً واحداً. وعند المغادرة لم يبق في هولندا أي شخص بداعي اللجوء، أو ليتقدم بطلب لجوء.

لو لم يكن هؤلاء قد تصالحوا مع الله في المسيح يسوع ونالوا سلاماً في أعماقهم، هل كانوا سيعيشون مع بعضهم لمدة ثلاثة عشر يوماً بسلام؟

لو سرنا كما نريد، لسرنا جميعاً في طرق الموت، لأن أرجلنا سريعة إلى سفك الدماء. هذا واقعنا! ولكن عندما يهدي الرب أقدامنا، نجد أنفسنا في طريق السلام، "لأنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا.. فَجَاءَ وَبَشَّرَكُمْ بِسَلاَمٍ، أَنْتُمْ الْبَعِيدِينَ وَالْقَرِيبِينَ" (أفسس ٢: ١٤، ١٧).

لكن مع الأسف، في أيامنا هذه من ينادي بالسلام يُرفض، أو يُقتل. ومن يُرفض أو يُقتل، كيف له أن يصنع سلاماً. لن يصنع السلام إلا من وُلد لنا، رئيس السلام.

لماذا هو رئيس السلام؟ لنذكر عمق احتياجنا له.

خاتمة: يُولدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، ويدعى اسمه عَمَّاثُوِيل، الذي تفسره الله معنا. هو عَجِيبٌ مُشِيرٌ إِلَهاً قَدِيرٌ أَباً أَبَدِيًّا رَئِيسَ السَّلاَمِ.

هل أدركت الآن من هو يسوع؟ هل تحتاج للسلام؟ هل تحتاج للحكمة؟ هل تحتاج للرعاية الأبوية؟ إذا أنت تحتاج ليسوع. تعال إليه إنه بانتظارك. افتح قلبك وادعوه ليسكن فيه، ويكون ربّان حياتك، هيا عاجلاً عاجلاً، اغنم الفرصة المعطاة لك، لأن الوقت الآن وقت مقبول للتوبة، والمصالحة مع الله، قبل أن ينتهي الزمان وتمضي الفرصة، وينتهي السلام، فتبكي دون أن تنفعك دموعك.

ولإلهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.

نُبُوَّة سَمْعَانَ

" ٢٥ وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سَمْعَانُ كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْرِيةَ إِسْرَائِيلَ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ كَانَ عَلَيْهِ. ٢٦ وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لَا يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ. ٢٧ فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ ٢٨ أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللَّهُ وَقَالَ: ٢٩ «الآن تَطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلَامٍ ٣٠ لِأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرْنَا خَلَاصَكَ ٣١ الَّذِي أَعَدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. ٣٢ نُورَ إِعْلَانٍ لِلْأُمَمِ وَبِحُجْدٍ لِسَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ». ٣٣ وَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ. ٣٤ وَبَارَكَهُمَا سَمْعَانُ وَقَالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ: «هَذَا إِنَّ هَذَا قَدْ وُضِعَ (جُعِلَ) لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ وَلِعَلَّامَةٍ تَقَاوُمُ. ٣٥ وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكَ سَيْفٌ لِسُحْلٍ أَفْكَارٍ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ» (لوقا ٢).

مقدمة: إن معظم الأخبار التي تتنبأ عن المستقبل تشد انتباه الناس وتستوقفهم، مع أن غالبيتها من قبيل التخمين أو التمني. ومع ذلك فالناس يصرفون من وقتهم الكثير للاستماع إليها، ولبرجة حياتهم على ما تقول.

التفسير الوعظي: هكذا أيضا على صعيد الأمور الروحية، فللنبوات مكانة هامة في حياة المؤمنين لأنها تتكلم عن خطة الله وأفكاره من نحو البشر، ومن المفترض أن المؤمنين يصرفون من وقتهم الكثير لقراءتها، لما فيها من تعزية. فالاهتمام بالنبوات أمر ضروري.

جملة انتقالية: ما أن حمل سمعان على ذراعيه، ذاك الذي حمله، وحمل خطاياه فيما بعد على خشبة الصليب، حتى أثبتنا بأربعة أمور تختص بالمسيح، من الضروري أن نهتم بها لئلا نعثر في المسيح.

أولاً- إن يسوع قد وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ (٣٤).

يُذَكِّرُنِي هذا العدد بما قاله الرسول بطرس عن المسيح: إنه "حَجَرُ زَاوِيَةٍ مُخْتَارًا كَرِيمًا، وَالَّذِي يُؤْمَنُ بِهِ لَنْ يُخْزَى. ٧ فَلَكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تُؤْمِنُونَ الْكَرَامَةَ، وَأَمَّا لِلَّذِينَ لَا يُطِيعُونَ فَالْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ، ٨ وَحَجَرُ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةٌ عَشْرَةٌ" (١ بطرس ٢).

الرسول بطرس يستمد تعابيره هُنا من لغة البَنَّاين، ومواد البناء. فيتخيل أمامه مقلع فيه بنائين، تُعرض عليهم الحجارَةُ لاختيار الأفضل للبناء. وإذ تُفحص الحجارَةُ، يُقبل الجيد منها، أما السيئ فتوضع عليه علامة الرفض، ليُطرح بعيداً.

ومن الغريب أن هؤلاء البَنَّاين الذين هم قادة الأمة اليهودية عندما فحصوا المسيح وجدوه حجراً لا ينفع، فوضعوا عليه إشارة الرفض، بينما كان المتوقع منهم أن يختاروه بعد الفحص، لأنه الحجر الكريم.

إن رفض هؤلاء القادة الدينيين للمسيح لا يعني حتماً أنه مرفوض من الله. فليس كل ما توافق عليه الجماعة، أو يوافق عليه عموم البشر، يوافق عليه الله. وهو ليس ملزماً بمساندة الجماعة إن كانت على صواب، أو خطأ، ليحقق شعارهم (الله مع الجماعة). هؤلاء القادة مجتمعين رفضوا المسيح، لكن الله قال عنه، حجراً كريماً. أي ثميناً، وفريداً، وليس له نظير. "حَجَرًا حَيًّا مَرْفُوضًا مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ مُخْتَارًا مِنَ اللَّهِ كَرِيمًا" (١ بطرس ٢: ٤).

قال الرسول بطرس لليهود مؤكداً هذه الحقيقة: "فَلْيَعْلَمُ يَقِينًا جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ (حكمتُم عليه بالرفض) رَبًّا وَمَسِيحًا" (أعمال ٢: ٣٦). نعم رفضتموه لكنه "قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ وَحَجَرُ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةٌ عَشْرَةٌ".

لقد وُضِعَ المسيح في طريق كلِّ النَّاسِ كحجر صدمةٍ لا يمكن تجاوزه. وكل الذين التقوا به، إمَّا بنوا عليه حياتهم، ومستقبلهم، ورجاءهم، فكان لهم للكرامة. أو

عشروا به لأنه لم يكن كما توقعوا، إذ أرادوه ملكاً قوياً، سيفه مسلولٌ، يُدَمِّرُ عروشاً، ويسفك دماءً، ويقيم لهم مملكة على أنقاض الأمم المجاورة. لكنهم فوجئوا به شخصاً متواضعاً فقيراً، لا يطلب مجد الناس، ولا مجد نفسه، فعشروا به، وسقطوا. فتمت نبوة سمعان عن المسيح أنه قد وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ.

قال الرب يسوع: "مَنْ سَقَطَ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ" (متى ٢١: ٤٤). إن الذين رفضوا المسيح اصطدموا به وترضضوا، لكن في يوم الدينونة سيسقط هذا الحجر عليهم بعد أن سقطوا هم عليه، وفي سقوطه سوف يسحقهم سحقاً، فيكونون كالغبار، أو العصافة التي تذرّيها الريح. من أجل هذا قال الرب يسوع: "طُوبَى لِمَنْ لَا يَعْتَرِيهِ" (متى ١١: ٦). لذلك من الضروري أن نهتم للنبوات، مُصْغِينَ لصوت رجال الله، لئلا نعر في المسيح.

ثانياً- إنَّ يسوع قد وُضِعَ لعلامةٍ تُقاوم (٣٤).

هذه نبوة باضطهاد اليهود للمسيح، وقد تحققت كل مدة حياته على الأرض. فاضطهاد اليهود للمسيح اشتمل على شهادات الزور عليه، والاستهزاء به، والبُغْض لشخصه، ثم في النهاية صلبه وقتله. فكل ما قاله سمعان تمّ أولاً في يهود عصره، ثم في الأرض كلها. وها هو المسيح اليوم يُقاوم بمقاومة تلاميذه أو إنجيله، كما فعل شاول الطرسوسي الذي كَانَ يَنْتَقِثُ تَهْدُوداً وَقَتْلًا عَلَى تَلَامِيذِ الرَّبِّ إِذْ كَانَ يَسُوقُهُمْ رِجَالاً أَوْ نِسَاءً مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

ولكن لماذا المسيح علامة تُقاوم؟

لأنه الحق.

لأنه "قُدُّوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدْ انْفَصَلَ عَنِ الْخَطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاءَاتِ" (عبرانيين ٧: ٢٦).

لأنه الثور الذي يكشف كل نجاسة، قال له المجد: "إِنَّ الثَّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ الثَّورِ لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِيرَةً. ٢٠ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّئَاتِ يَبْغِضُ الثَّورَ وَلَا يَأْتِي إِلَى الثَّورِ لِيَلَّا تُوَبَّحَ أَعْمَالُهُ" (يوحنا ٣: ١٩-٢٠).

لقد كان المسيح بسبب قداسته علامة تُقاوم. كل من نظر إليه، أو سمع كلامه، أو راقب سيرته، اكتشف نفسه. وفي أيامنا هذه لا يريد الناس المجيء إلى النور لئلا تنكشف أعمالهم، ودوافعهم وأفكارهم، إنهم يريدون الظلمة.

من يزي لا يريد كلاماً عن العفة، ومن يتكلم عن العفة ينبغي أن يُقاوم، كما فعل هيرودس الملك الذي تزوج زوجة أخيه، وإذ انكشف زناه من قبل يوحنا المعمدان قاومه بوضعه في السجن.

ومن يسرق لا يريد أن يسمع كلاماً عن الأمانة.

ومن يُبغض لا يريد أن يسمع كلاماً عن المحبة.

والبخيل لا يريد أن يسمع كلاماً عن العطاء.

والمتكبر لا يريد أن يسمع كلاماً عن التواضع والوداعة.

كل هؤلاء برفضهم للنور اعتبروا المسيح علامة تُقاوم.

لَمَّا وَقَفَ بُولُسُ الرَّسُولُ أَمَامَ فِيلِكُسَ الْوَالِي مَعَ دُرُوسِلَا أَمْرَاتِهِ وَهِيَ يَهُودِيَّةٌ، كَلَّمَهُ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ "٢٥ وَبَيْنَمَا كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْبِرِّ وَالتَّعْقُفِ وَالدَّيْنُونَةِ الْعَتِيدَةِ أَنْ تَكُونَ ارْتَعَبَ فِيلِكُسُ وَأَجَابَ: «أَمَّا الْآنَ فَأَذْهَبْ وَمَتَى حَصَلْتُ عَلَى وَقْتٍ أَسْتَدْعِيكَ». ٢٦ وَكَانَ أَيْضاً يَرْجُو أَنْ يُعْطِيَهُ بُولُسُ دَرَاهِمَ لِيُطْلِقَهُ" (أعمال ٢٤). كان فيليكس الوالي حاكماً مرتشياً، لَمَّا سَمِعَ الْكَلَامَ عَنِ الْبِرِّ وَالدَّيْنُونَةِ ارْتَعَبَ، وصرف الرسول بولس من محضره وأبقاه في السجن، معتبراً إياه علامة تُقاوم.

تَكَلَّمَ مَعَ النَّاسِ بِعُمُومِ الْكَلَامِ، فَإِنَّهُمْ سَيِّتِهَجُونَ بِمُنَاقَشَتِكَ مَهْمَا طَالَ الْوَقْتُ. كلمهم بالسياسة، بالاقتصاد، بالعلم، بالفن، بالأدب، بأي أمر فلن يملؤا منك، بل

على العكس سيكتفون من الترحيب بك، ويعتبرونك شخصاً مهماً تحلو معه العشرة، وسيطلبون منك في نهاية الحديث أن تكرر زيارتك لاستكمال ما بدأوه معك. لكن عندما تكلمهم عن الإنجيل الذي يعكس حياة المسيح وتعاليمه فإنك بلا شك ستتمس حياتهم بصفة شخصية مما يجعلهم في حالة المقاومة لك. ليس الحديث عن الإنجيل فقط، لكن حياتك كمؤمن عندما تعكس نور الإنجيل الذي يكشف ظلام العالم وفساده ستحولك إلى علامة تُقاوم وتُرفض كما كان سيدنا له المجد. لذلك من الضروري أن نحتّم للنبيات، مُصغين لصوت رجال الله، لئلا نعثر في المسيح.

ثالثاً- إن يسوع قد وُضِعَ ليجوزَ سيفٌ في نفس مريم (٣٥).

هذا كلام مجازي، معناه أن مريم سيصيبها أشد الأحزان، وهذا ما حصل فعلاً. في البداية قال جبرائيل الملاك لمريم: "٣١ وَهَآ أَنْتِ سَتَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيْنَهُ يَسُوعَ. ٣٢ هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ" (لوقا ١).

وبعد أن وُلِدَ المسيح جاءها الرعاية، وأخبروها ببشارة الملاك لهم، "فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لْجَمِيعِ الشَّعْبِ: ١١ أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ" (لوقا ٢).

ربما ظننت مريم، بسبب هذا الكلام، أن جميع الناس سيرحبون بالمسيح كونه علّة فرح لجميع الشعب، بل ربما ظننت أيضاً أنهم سيُملكونه عليهم، لأن الملاك أخبرها أن الرب الإله سيعطيه كرسي داود أبيه. لكن الذي جرى اختلف كثيراً عن توقعاتها، إذ أن الناس قاوموا المسيح من بداية خدمته إلى نهايتها، فاستبدلوا فرحها بحزن عميق.

بلا شك كانت الصور تتوارد إلى ذهنها الواحدة تلو الأخرى. فيها هم الفريسيون -رجال الدين اليهود- يتشاورون عليه ليهلكوه بدل أن يملكوه. وها هم الناس

يجدّفون عليه قائلين: إنه يُخرج الشياطين بِعَزَائِلِ رَئِيسِ الشياطين. ويَجْتَهِدون لكي يطرحوه من الجبل. وها هو تلميذه بطرس ينكره أمام عامة الشعب وبعض الجوّاري. وها هو تلميذه الآخر يهوذا الإسخريوطي يبيعه بثلاثين من الفضة. وها هم تلاميذه في بستان جَنَسِيمَانِي قد تفرّقوا عنه هاربين، وتركوه وحيداً يلاقي مصيره. أما عند الصّليب فيها لها من صور مُدمية للقلب، فالمسيح الذي شفت يده المرضي وتحنّنتا على الجموع تراهما الآن مُسمّرتان على خشبة الصليب، بينما أحد الجنود القساة يطعن جنبه بحربة فيخرج منها دمٌ وماء. وها هم المجتازون من أمامه يجدّفون عليه ويهزون رؤوسهم قائلين له: "يا ناقِضَ الهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ خَلَّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنُ اللَّهِ فَانْزِلْ عَنِ الصّليبِ!" (متى ٢٧: ٤٠). أمّا رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب فتراهم يسخرون منه قائلين: "٤٢ «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا». إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الْآنَ عَنِ الصّليبِ فَتُؤْمِنَ بِهِ! ٤٣ قَدْ اتَّكَلَّ عَلَى اللَّهِ فَلْيَقْضِ الْآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لِأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللَّهِ!" (متى ٢٧). وحتى اللسان اللذان صُلبا معه لم يَسلَم من تعييرهما. "وَأَنْتِ أَيْضاً يَجُورُ فِي نَفْسِكَ سَيْفٌ"، يا لها من نبوة قالها سمعان، فلخصت حياة مريم بما فيها من مرارة بسبب ما حدث لابنها. لذلك من الضروري أن نهتم للنبوات، مُصغين لصوت رجال الله، لئلا نعتثر في المسيح.

رابعاً— إِنَّ يَسُوعَ قَدْ وُضِعَ لِنُعْلَنَ أَفْكَارُ مَنْ قُلُوبٌ كَثِيرَةٌ (٣٥).

أي لتتكشف نيات قلوب كثيرة، وبعبير أبسط فإنّ الناس سوف يُعلنون أفكارهم وحقيقة قلوبهم بموقفهم من المسيح، لأنه أمام المسيح يُمتحن ويُعلن كل شيء. وكمثال على ذلك ظهر الفريسيون والكتبة الذين يُفترض بأنهم متعبّدين، ومتدينين، وحريصين على حفظ الناموس وأحكامه، أمام المسيح، بأنهم مراؤون، وقُبُورٌ مُبَيَّضَةٌ، فوجّهم الرب على الكثير من أعمالهم وأفكارهم، أي وجّهم على خفيات قلوبهم.

وهكذا في يوم الدين سيقف جميع الناس أمام الديان الذي هو المسيح، لئعلن هناك أفكارهم، ونياتهم، ودوافعهم، وأسباب رفضهم للمسيح. فاليوم يستطيع البعض من الناس أن يُزيّف نفسه، وأن يدعي بأنه الأفضل، والأقدس، والأطهر، والأكثر محبة للرّب، لكن في ذلك اليوم ماذا سيفعل هؤلاء عندما تنكشف خفايا قلوبهم وتُعرف دوافعهم، فإنه "لَيْسَتْ خَلِيقَةً غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ غُرْبَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنِي ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمُرْنَا" (عبرانيين ٤: ١٣). لذلك من الضروري أن نُحتم للنبوات، مُصغين لصوت رجال الله، لئلا نعثر في المسيح.

خاتمة: تضمنت نبوة سَمْعَانَ أربعة حقائق تتعلق بيسوع المسيح.

١- يسوع قد وُضِعَ لِسُفُوطٍ وَقِيَامٍ كَثِيرِينَ.

٢- يسوع قد وُضِعَ لِعَلَامَةٍ تُقَاوَم.

٣- يسوع قد وُضِعَ لِيَجُوزَ سَيْفٌ فِي نَفْسِ مَرِيَمَ.

٤- يسوع قد وُضِعَ لِيُتَعْلَنَ أَفْكَارُ مَنْ قُلُوبُ كَثِيرَةٍ.

ربما كانت الصورة في ذهنك عن يسوع مختلفة عما سمعت اليوم، وبالتالي فإن إيمانك وأفكارك من نحو أمور الحياة مشوشة. لذلك من الضروري أن نُحتم للنبوات، والتعليم الموجود في الكتاب المقدس، مُصغين لصوت رجال الله، لئلا نعثر في المسيح.

ولإلهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.

لماذا يتفرد ميلاد المسيح؟

"٢٦ وفي الشهر السادس أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلَاكُ مِنَ اللَّهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ ٢٧ إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمَ" (لوقا ١).

"٤ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَثِيوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا. ٥ لِذَلِكَ (الْمَسِيحُ) عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «ذَبِيحَةٌ وَفَرْنَانًا لَمْ تُرَدْ، وَلَكِنْ هَيَّأتِ لِي جَسَدًا. ٦ بِمُخَرَفَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيئَةِ لَمْ تُسَرَّ... ١٠ فَبِهَذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً.. ١٤ لِأَنَّهُ بِفَرْنَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الْأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ" (عبرانيين ١٠).

"١٧ مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشَبِّهَ إِخْوَتُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيمًا، وَرئيسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا فِي مَا لِلَّهِ حَتَّى يُكْفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ. ١٨ لِأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّبًا يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجَرَّبِينَ" (عبرانيين).

مقدمة: يوجد في الحياة أشياء فريدة لامثيل لها، فمثلاً:

بصمات الأصابع: يوجد حوالي ثمانية مليارات شخص، ولكل شخص بصمة خاصة به، ورغم هذا الكم الكبير من الأصابع فإنك لا يمكن أن تُطابق بصمتين مع بعضهم البعض لأن كل بصمة فريدة في ذاتها ولا مثيل لها.

أوراق الشجر: من المدهش أننا لا نرى بين كل الأشجار ورقتي شجر متماثلتين، حتى داخل الشجرة الواحدة، وعلى الغصن الواحد، بل على الفرع الصغير الواحد، هذا لأن كل ورقة هي فريدة بذاتها.

شخصيات الناس: عندما نتأمل بطباع الناس وسلوكهم ونمط تفكيرهم سنكتشف أنه لا يوجد اثنين متشابهين حتى لو كانا توأمين من رحم واحد.

التفسير الوعظي: هكذا أيضا على صعيد الأمور الروحية، يوجد شيء فريد من نوعه، ولا مثيل له، إنَّه ميلاد ربِّنا يسوع المسيح. فميلاده في عالمنا يختلف عن ميلاد أي شخص آخر، ولا يمكن أن تجد له نظير على الإطلاق، وفردته هي من أجل خلاصنا.

جملة انتقالية: يقدم لنا الكتاب المقدس عدة أسباب لفردة ميلاد المسيح، سنتأمل في بعضها لنذكر أنه يمكن لجميع الناس أن يستفيدوا من فردة ميلاد المسيح لجهة خلاصهم.

أولاً- ميلاد المسيح فريد لأنه وُلِدَ ليموت عن خطايا الآخرين.

"٤ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَثِيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا. ٥ لِذَلِكَ (الْمَسِيحُ) عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: ذَبِيحَةٌ وَقَرْبَانًا لَمْ تُرَدْ، وَلَكِنْ هَيَّأَتْ لِي جَسَدًا" (عبرانيين ١٠)

إن دم الثيران والثيروس الذي سُفِكَ في العهد القديم أمام الهيكل، أو خيمة الاجتماع مع كثرته، لم يقدر، على رفع الخطايا، كون الذبيحة الحيوانية أقل قيمة أدبية من الإنسان. وقد أعطت هذه الذبائح للعابد نوعاً من التطهير الطقسي، لكنها فشلت تماماً بمعالجة فساد طبيعته الأدبية الساقطة.

كانت المشكلة الأساسية لهذه الذبائح أنها ضعيفة، وبحاجة للتكرار مع كل خطية، لذلك يقول الكتاب المقدس عن الله "ذَبِيحَةٌ وَقَرْبَانًا لَمْ تُرَدْ"، فهي مُرتبة إذاً لوقت الإصلاح، وليست قصد الله النهائي.

وبالمفارقة مع ضعف هذه الذبائح الحيوانية التي كانت تشير إلى حمل الله الذي سيرفع خطية العالم، يأتي بنا كاتب العبرانيين إلى قوة ذبيحة المسيح الفائقة الوصف، المرموز إليها بهذه الذبائح. وهكذا فإن الله، في عدم مسرته بالذبائح السابقة، هيئاً جسداً بشرياً لابنه. فالكلمة الأزلي "عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ" صار جسداً، حتى يموت (إنساناً) من أجل الناس.

إذن، اتخذ المسيح جسداً لم يكن غايةً بل وسيلةً بها يصير ذبيحةً، وقرباناً عن خطايا كلِّ العالم ليحقق الغاية التي هي الفداء كقول الكتاب: "ندعو اسمه يسوع لأنه يُخلّص شعبه من خطاياهم"، ولتحقيق هذه الغاية، دخل المسيح عالمنا بطريقة فريدة، في جسدٍ يشبه جسدنا الخاطيء تماماً، لكنّه بلا خطيئة، أي حرّاً من ذلك الميل الذي يقودنا إلى ما هو ضد قداسة الله.

فيسوع إذًا، هو الله الظاهر في الجسد. وهذا يعني أننا لا نؤله البشر، ولا نعبد إنساناً قد تأله، لكننا نعبد إلهاً قد تأنس. وما تأنسه إلا ضرورة لفداء الجنس البشري. وهذا ما رآته حكمته من جهة خلاصنا، فكشفه لنا بإعلانات متتالية ومتدرجة، حتى لا نستغرب أو نفاجأ بقدمه إلى عالمنا متجسداً.

من المهم أن ندرك، إن المسيح قبل أن يولد بالجسد قرر الطريق الذي سيسلكه والمهمة التي سيقوم بها، وأعلن لنا ذلك في الكتاب المقدس منذ أمدٍ طويل. وما حياته القصيرة التي عاشها على الأرض إلا تنويجاً لقراره المتخذ من قبل تأسيس العالم بأن يولد ليموت عن خطايا الآخرين. فالخطيئة هي المشكلة التي يعاني منها كل الجنس البشري، وهي كبيرة لدرجة أن لا أحد من الناس يستطيع التخلص منها. إنها كالفخ الذي أطبق على الفريسة ولا نجاة.

ومع مرور آلاف السنين ورغم كل التقدم العلمي لم يجد أحدهم علاجاً لمشكلة الخطيئة التي أدمت العالم بالصراعات والحروب والمآسي، محولة إياه لمقبرة كل من فيها يكي الماء.

وإذ تساءل الجميع، أين الحل؟ وفدية النفوس باهظة يتعذر دفعها مدى الحياة!

جاء الجواب من السماء في مِلءِ الزَّمان، عندما أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنْ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَقْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. متجسداً بطريقة فريدة، ليعيش بيننا بلا خطيئة ويموت عن الخطيئة، معطياً أسرى الموت رجاءً.

لذلك يمكن لجميع الناس أن يستفيدوا من فرادة ميلاد المسيح من جهة خلاصهم.

ثانياً- ميلاد المسيح فريد، لأنه وُلِدَ لِيُعلنَ لنا أنه معين المجربين.

"١٧ مِنْ تَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشَبَّهَ إِخْوَتُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيماً، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِيناً فِي مَا لِلَّهِ حَتَّى يُكْفَرَ خَطَايَا الشَّعْبِ. ١٨ لِأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّباً يَقْدِرُ أَنْ يُعَيِّنَ الْمُجَرَّبِينَ"

وهذا يعني أن ناسوته كان حقيقياً، وكاملاً بلا خطيئة، بعكس ناسوتنا الذي استولت عليه الخطيئة. ولأنه "يُشَبَّهَ إِخْوَتُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ"، فَقَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّباً "فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَنَا، بِلاَ خَطِيئَةٍ". فاختبر رغبات الناس، وأفكارهم ومشاعرهم، وعواطفهم، وأحاسيسهم غير المرتبطة بالخطيئة. وهذا أهله ليكون رحيماً نحو الإنسان المجرب ومعيناً له في أزمنة الضيق، "لِأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّباً يَقْدِرُ أَنْ يُعَيِّنَ الْمُجَرَّبِينَ".

ففي ميلاده كان طفلاً صغيراً ضعيفاً لا يقدر إلا على البكاء، محتاجاً لمن يهتم به ويرعاه. وفي طفولته اختبر الفقر، ورأى كغيره الظلم من حوله، وفي شبابه رأى فساد المتدينين الذي لا يقل عن فساد السلطة الزمنية، وشاهد ما يفعله القوي بالضعيف. وخلال خدمته اختبر الإهانات والتصغير والشتائم والرفض، ثم الحكم عليه بالموت ظلماً. وكذلك في موته اختبر برودة القبر وظلامه.

ولأنه "مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَنَا، بِلاَ خَطِيئَةٍ"، يشجعنا الكتاب بالقول: "فَلْتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ تَنَالَ رَحْمَةً وَتَجِدَ نِعْمَةً عَوْناً فِي حِينِهِ" (عبرانيين ٤: ١٥ - ١٦).

إن مولود بيت لحم ليس شخصاً عادياً، نبياً أو رسولاً، محدوداً في إمكانياته، لكنه الله القدير، الظاهر في الجسد، إنه موجود قبل أي وجود، بل هو نفسه مصدر كل وجود. قال لليهود معبراً عن أزليته: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ" (يوحنا ٨: ٥٨). وقال عنه الرسول يوحنا: "كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ، ٣ وَكُلُّ رُوحٍ لَا يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ" (١ يوحنا ٤).

إذن، التحسد ليس ضرورة رتبها محبته من أجل الفداء فقط، لكن ليعلم لنا الله أيضاً، أنه ليس ببعيد عنا، فاشترك معنا في اللحم والدّم وجرّب نظيرنا في كل شيء ما عدا الخطيئة.

لذلك ميلاد المسيح فريد، وغير مسبوق، وبالتالي يمكن لجميع الناس المجربين أن يستفيدوا من فرادة ميلاده من جهة المعونة باعتباره الله الظاهر في الجسد.

ثالثاً- ميلاد المسيح فريد لأنه وُلِدَ لِيَضْمَنَا إِلَى عَائِلَةِ اللَّهِ.

"١٠ فَبِهَذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً.. ١٤ لِأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الْأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ"

أي بهذه المشيئة الإلهية، التي أطاعها يسوع بالتّمام، نحن مقدّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة. والتقديس يعني: فصلنا وفرزنا من قِبَلِ الله من هذا العالم، لنخص الله. أمّا القيمة الفائقة لقربان المسيح فتظهر في كونه قد أكمل إلى الأبد المقدّسين. أي جعل الذين قدّسهم كاملين إلى الأبد.

تقول كلمة الرّب: "٤ وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مُؤَلَّدًا مِنْ امْرَأَةٍ، لماذا؟ "لِنَنَالَ التَّبَنِّي" (غلاطية ٤). فالذين قدّسهم المسيح وجعلهم كاملين إلى الأبد، قال عنهم الآب السماوي: "وَأَكُونُ لَكُمْ أَبًا، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ" (٢ كورنثوس ٦: ١٨). "فَلَسْتُمْ إِذَا بَعْدَ غُرْبَاءَ وَتَزَلًّا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقَدِّيسِينَ وَأَهْلٍ بَيْتِ اللَّهِ" (افسس ٢: ١٩).

وهكذا يمكننا القول: إنه من لحظة إيماننا، يرانا الله في المسيح، كما رأيناه في المسيح. وإذا صعد المسيح إلى السموات لم يهن عليه أن يجلس في العرش لوحده، فأخذنا معه كعائلة الله وهو يقول للآب السماوي: "أَيُّهَا الْآبُ أُرِيدُ أَنْ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِيَ حَيْثُ أَكُونُ أَنَا" (يوحنا ١٧: ٢٤). وإذا دخل العرش يقول: "هَآ أَنَا وَالْأَوْلَادُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمُ اللَّهُ" (عبرانيين ٢: ١٣).

كلنا بشكل أو بآخر ننتمي إلى عائلات، بالولادة أو بالتبني. ولو كان لنا الخيار لفضلنا الانتماء إلى أعظم العائلات، لأن هذا يُشعرنا بالفخر، ويعطينا الرجاء بحياة كريمة لا يسودها الظلم، أو الجوع.

فماذا لو قيل لك: هناك عائلة اسمها "عائلة الله". بلا شك ستقول: الانتماء إليها أكبر من أحلامي. لكني أريد أن أخبرك: أن المسيح وُلد ليضمنا إلى عائلة الله بكل ما لديها من امتيازات.

فأياً كانت عائلتك، وأياً كان مركزك الاجتماعي أو الاقتصادي، وأياً كانت حالتك الأدبية، فإن إيمانك بالمسيح يسوع يجعلك من أهل بيت الله ورعية مع القديسين. وهذا ما تؤكد كـلمة الرب: "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يوحنا ١: ١٢).

يا لها من بشارة سارة، أنّ المسيح لم يتركنا كما نحن في ذواتنا، لأن الأمر غير مقبول لشدة نجاستنا، وانعدام جمالنا! فأضفى علينا كل كماله، إذ جعلنا مكملين إلى الأبد، ليستحضرنا إلى الله، لا كما نحن في ذواتنا، لكن، "وَأَنْتُمْ تَمْلَأُونَهُ فِيهِ" (كولوسي ٢: ١٠). لذلك يمكن لجميع الناس أن يستفيدوا من فرادة ميلاد المسيح من جهة البنيوية، فيصيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ.

رابعاً- ميلاد المسيح فريد، لأنّه وُلد ليعلن عودة الوحي بعد انقطاع.

"٢٦ وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرِائِيلُ الْمَلَاكُ مِنَ اللَّهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ ٢٧ إِلَى عَذْرَاءٍ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ" (لوقا ١).

لقد كلّم الله الآباء بالأنبياء قديماً، بأنواع وطرق كثيرة حتى أيام ملاحي النبي، وبعد ذلك انقطع الوحي لما يقارب الأربع مئة عام بسبب فشل الإنسان في طاعة الله، إذ لم يعد هناك من يُسر الله، ليتكلم الله معه.

وإذ وُلد المسيح تغيرت الأمور. فيها هو الملاك جبرائيل، ملاك البشارة في العهد الجديد، يبشر زكريا الكاهن بمولد ابنه يوحنا المعمدان، ويبشر العذراء مريم بمولد يسوع. وهاهم الملائكة يظهرون للرعاة، والجنود السماوي يتزعمون: "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ وَبِالنَّاسِ (يسوع) الْمَسْرَّةُ" (لوقا ٢: ١٤). فإذا صار ابن الله إنساناً صارت المسرة بالناس.

وهاهم الجحوش يأتون بقيادة نجم سماوي، وعلى الأرجح ملاكاً سماوياً، ليتقابلوا مع مولود بيت لحم، ثم تُكلمهم السماء بالأحلام كما كلمت يوسف النجار. وهما هو سمعان يتكلم برؤى القدير، وكذلك فعلت حنة بنت فنوئيل. لقد وُلد من يُسرَّ الله فتكلم الله. وكتيحة لذلك يقول المسيح: "اسْأَلُوا تَعْطُوا. اطْلُبُوا تَجِدُوا. اقْرَعُوا يَفْتَحْ لَكُمْ. ١٠ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ وَمَنْ يَقْرَعُ يَفْتَحْ لَهُ" (لوقا ١١). والكتاب المقدس يشجعنا على الصلاة، لأن أبواب السماء مفتوحة، و "أَنَّهُ إِنْ طَلَبْنَا شَيْئاً حَسَبَ مَشِئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا" (١ يوحنا ٥: ١٤).

لقد أعاد ميلاد المسيح للإنسان العلاقة مع الله، فيها هو الله يتكلم مع الإنسان المؤمن ويسمعه، لذلك يمكن لجميع الناس أن يستفيدوا من فريدة ميلاد المسيح من جهة الشركة مع الله.

الخاتمة: إن ميلاد المسيح فريد، فيا ليتنا نستفيد منه بأن نسلم خطايانا وحياتنا له. سلم حياتك الآن ما دمت قد عرفت فريدة ميلاد المسيح، وادعوه بالصلاة، وكل من يدعوا باسم الرب يخلص. واحصل على كل الامتيازات التي نالها المؤمنون بالمسيح، امتياز الخلاص، والمعونة، والبنوية، والشركة مع الله. ولإلهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.

فرحاً عظيماً

"٨ وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّلِينَ يَخْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ ٩ وَإِذَا مَلَكَ الرَّبُّ وَقَفَ بِهِمْ وَبَجَدَ الرَّبُّ أَصَاءَ حَوْثِهِمْ فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً. ١٠ فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَكُ: «لَا تَخَافُوا. فَهَذَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: ١١ أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلَّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. ١٢ وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: يَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطاً مُضْجِعاً فِي مَدْوَدٍ». ١٣ وَظَهَرَ بَعَثَهُ مَعَ الْمَلَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: ١٤ «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ». ١٥ وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لِنَذْهَبِ الْآنَ إِلَى بَيْتِ لَحِيمَ وَنَنْظُرَ هَذَا الْأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمْنَا بِهِ الرَّبُّ». ١٦ فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجِعاً فِي الْمَدْوَدِ. ١٧ فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلَامِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هَذَا الصَّبِيِّ. ١٨ وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا بِمَا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعَاةِ. ١٩ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذَا الْكَلَامِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا. ٢٠ ثُمَّ رَجَعَ الرُّعَاةُ وَهُمْ يَمَجِّدُونَ اللَّهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ" (لوقا ٢: ٢٠).

مقدمة: الفرح هو حالة من السعادة ينالها الإنسان نتيجة خبر يسمعه، أو ظرف يعيشه، ويكون عادياً أو عظيماً بحسب تأثيره على الإنسان، وما يحدثه من فرق في حياته. فمثلاً، الترقية في الوظيفة، أو عودة عزيز من السفر بعد غياب طويل، أمران مفرحان، أما ولادة طفل ضمن العائلة، فهو فرحٌ عظيمٌ.

التفسير الوعظي: على صعيد الأمور الروحية هناك أيضاً أخبار مفرحة، وأخبار عظيمة الفرح. فبِرَّانَا "الَّذِي لَمَّا أَتَى (كنيسة انطاكية) وَرَأَى نِعْمَةَ اللَّهِ فَرِحَ" (أعمال ١١: ٢٣). وبسبب الآيات التي صنعها الرب على يد فيلبس في السامرة "كَانَ فَرَحٌ عَظِيمٌ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ" (أعمال ٨: ٨). فالكتاب المقدس هو كتاب الفرح، ولا غرابة إذ دعي العهد الجديد بالإنجيل، أي الأخبار المفرحة. وكم هو رائع أن نشارك الآخرين بهذه الأخبار لتبادل السعادة معهم.

جملة انتقالية: في هذه القصة يكلمنا لوقا عن ملاكٍ ظهر إلى رعاة متبدين -يسكنون في البادية والخلاء- وهم يحرسون حراسات الليل على رعيتهم، ولعلمهم كانوا يحرسون الأغنام التي تُقدَّم منها ذبائح الهيكل على ممر السنة. وإذ خاف الرعاة من المشهد، قال لهم: لا تخافوا. ثم بشرهم بفرحٍ عظيم. وقد دعي هذا الفرح عظيماً للأسباب التالية:

أولاً- لأنَّ السَّماء تشترك به (٩-١٠).

عندما خلق الله الأرض مظهرًا عظمته: "تَرَنَّتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ (الملائكة) مَعًا وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللَّهِ (الملائكة)" (ايوب ٣٨: ٧). تعبيراً عن الفرح بما صنع.

وإذ أدرك المرنم قديماً أن الرَّبَّ إلهٌ عظيم قال لأخوته: "١ هَلَمْ تَرَنَّا لِلرَّبِّ تَهْتِفُ لَصَخْرَةٍ خَلَّصَنَا. ٢ تَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِحَمْدٍ وَبِتَرَنِيمَاتٍ تَهْتِفُ لَهُ" (مزمور ٩٥). ولأنَّ فرح الإخوة وترنيمهم لا يكفي للتعبير عن عظمة الله، قال للطبيعة: "٤ اهْتِفِي لِلرَّبِّ يَا كُلَّ الْأَرْضِ. اهْتِفُوا وَزَمُّوا وَغَنُوا... ٨ الْأَتِهَارُ لِيُصَفِّقُوا بِالْأَيْدِي الْجِبَالُ لِيُرَنِّمَ مَعًا" (مزمور ٩٨). ولأن ترنيم الطبيعة أيضاً لا يكفي قال للفلك: "سَبِّحِي يَا أَيُّهَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ. سَبِّحِي يَا جَمِيعَ كَوَاكِبِ النُّورِ" (مزمور ١٤٨: ٣).

وعندما يملك المسيح مستقبلاً على الأرض مظهرًا عظمته ومجده سيخرج "مِنَ الْعَرْشِ صَوْتُ قَائِلًا: «سَبِّحُوا لِإِلَهِنَا يَا جَمِيعَ عِبِيدِهِ، الْخَائِفِيهِ، الصَّعَّارِ وَالْكِبَارِ» ٦ وَنَمِغَتْ (يوحنا) كَصَوْتٍ جَمَعَ كَثِيرٌ، وَكَصَوْتٍ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ، وَكَصَوْتِ رُغُودٍ شَدِيدَةٍ قَائِلَةً: «هَلِّلُويَا! فَإِنَّهُ قَدْ مَلَكَ الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ٧ لِنَفْرَحَ وَنَتَهَلَّلَ وَنُعْطِيَ الْمَجْدَ" (رؤيا ١٩).

كلُّ هذه أمورٌ مفرحةٌ تمَّ التعبير عنها بطرق متنوعة، ولكن عندما دخل الرَّبُّ الإله عالمنا مولوداً من عذراء، وأظهر مجده مجدداً، قال الملاك للرعاة: "هَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ"، إنَّه عظيمٌ بمقياس السَّماء، وهو لا يقاس بأية فرحة سبقته أو تلتها في السَّماء، فكم بالحري بمقياس الأرض.

ولأن كل ترنيمة تحتاج لقرار "ظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلَائِكَةِ جَمُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ»".

نعم، إن الأرض ستفرح أكثر من السماء، لأن ولادة المسيح تعني خلاصاً عظيماً أعده الرب أمام وجه جميع الشعوب. وكم هو رائع أن نشارك الآخرين بهذه الأخبار لتبادل السعادة معهم.

ما أكثر الأناشيد التي خلقها ميلاد المسيح على الأرض لتصدح بها حناجر الملايين من المؤمنين. ورغم كل جهدهم المبذول في الترنيم فإن هذا لا يقارن بعظمة جُند السماء وهم يسبحون ربَّ الخليقة، إذ وُلد في الخليقة. ففاقت ترنيمتهم هذه ترانيم البشر، كما فاقت ترنيمتهم الأولى عندما أُكملت الخليقة.

فكم هو رائع أن نشارك الآخرين بهذه الأخبار لتبادل السعادة معهم.

ثانياً- لأنَّ المولود هو المخلص (١١- ١٢).

إن فحوى الرسالة التي نقلها الملاك للرعاة جعلتهم يفرحون فرحاً عظيماً، فالمولود هو المخلص. يا لسمو الرسالة. لكن السؤال: ماذا فهم هؤلاء الرعاة البسطاء؟ هل أدركوا أن الله قرر أن يخلصهم من سلطان الخطيئة، أم من سلطان الرومان كما هو شائع؟ بلا شك لم يفهموا الرسالة على حقيقتها، لا هم، ولا قادتهم العميان. ولكن إذ أعطاهم الملاك علامة لم يطلبوها، اسرعوا بالذهاب لرؤيتها كونها تتحدث عن مخلص هو الآن مضجعٌ في مذودٍ.

يا ثرى هل تساءلوا في الطريق، وهم يتعثروا بالحجارة في ظلمة الليل: كيف يكون المخلص من نير الرومان "طِفْلاً مُقَمَّطاً مُضْجَعاً فِي مِذْوَدٍ"؟ ألا ينبغي أن تحيط به كوكبة من الأمراء والأبطال الأشداء؟

وعندما وصلوا إلى بيت لحم قالوا بعضهم لبعض: في أي بيت هو؟ وإذ وجدوا نوراً يَشْعُ من قنديلٍ في أحد البيوت، قرعوا الباب وصرخوا: هل من مولود في هذا البيت؟ فكان الجواب لا، اذهبوا من هنا إلى نهاية الزقاق، هناك تجدون مولوداً.

ركضوا بسرعة أكبر، وإذ سمعوا صوت طفلٍ يبكي دخلوا المكان، يا للغرابة! إنه إسطبلٌ، فيه رجلٌ فقير، وامرأةٌ بسيطة، مع طفلٍ "مَقْمَطٌ مُضَجَعٌ فِي مِدْوَدٍ".

لم يروا ملائكة، ولا أمراء، ولا أبطال، ولا شَمُوا رائحةَ البخور العطر، بل شموا نَفْسَ رائحة الخراف التي عندهم. وإذ لم يجدوا تفسيراً للأمر، اكتفوا بأن أخبروا مريم ويوسف "بِالْكَلَامِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هَذَا الصَّبِيِّ".

قال الملاك للرعاة، مبشراً إياهم بفرح عظيم، أنه ولد لكم اليوم مخلص. لم يفهموا فحوى الرسالة فخسروا فرحها. ولكن بعد سنوات هذا عددها، تبين أن المولود مَلِكُ اليهود هو المخلص، ليس من ظُلم الرومان واستعبادهم، ولكن من ظُلم الخطية ونيرها. فآمن الملايين به ليملاً قلبهم بفرح لا يُنطق به ومجيد. فرح الخلاص من ثقل ديون الخطية ودينونتها الأبدية، فصرخوا "عَظَّمَ الرَّبُّ الْعَمَلَ مَعَنَا وَصَرَّنَا فَرِحِينَ" (مزمور ١٢٦: ٣).

ها هو الخصي الحبشي عندما آمن بالمسيح واعتمد، "ذَهَبَ فِي طَرِيقِهِ فَرِحاً" (أعمال ٨: ٣٩)

وها هو سحان فيليبي الذي وُضِعَ فِي السَّجَنِ بُولُسَ وَسِيلَا، وَقَيَّدَهُمَا وَعَذَّبَهُمَا، عندما آمن بالمسيح واعتمد، "تَهَلَّلَ مَعَ جَمِيعِ بَيْتِهِ" (أعمال ١٦: ٣٤)

وها هي المباركة مريم التي أدركت أن خلاص المسيح قد شملها ترنمت قائلة: "تَعَظَّمَ نَفْسِي الرَّبُّ ٤٧ وَتَبَتَّهَجَ رُوحِي بِاللَّهِ مُخَلِّصِي" (لوقا ١).

وهكذا أيضاً كل من يدرك أن مولود بيت لحم هو المخلص، ويؤمن به، ينال فرحاً عظيماً. فكم هو رائع أن نشارك الآخرين بهذه الأخبار لتبادل السعادة معهم.

ثالثاً- لأن المولود هو لجميع الشعب (١٠)

لو لم نكن في هذا البؤس العظيم لما احتجنا لهذه البشارة العظيمة، ومن مراحم الله أنما لجميع الشعب. فإن كانت ولادة طفل تُدخل الفرحة إلى قلب عائلته، وتزداد بازدياد أفراد العائلة، فكم بالحري عندما يولد طفل لشعب بأكمله، إنها بالحق فرحة عظيمة لا تُدرك.

عندما وُلدت حَنَّة طفلها صموئيل، وكانت قبل ذلك امرأة عاقر. رَمَتِ قائلَةً: "فَرَحَ قَلْبِي بِالرَّبِّ. ارْتَفَعَ قَرْنِي بِالرَّبِّ. اتَّسَعَ فَمِي عَلَى أَعْدَائِي، لِأَنِّي قَدْ ابْتَهَجْتُ بِخَلَاصِكَ" (١ صموئيل ٢: ١).

وعندما وُلدت سَارَةُ ابنها اسحق، وهي أيضاً كَحَنَّة كانت عاقراً ولم تنجب إلا في شيخوختها رَمَتِ قائلَةً: "قَدْ صَنَعَ إِلَهِ اللَّهِ ضِحْكَاً. كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ يَضْحَكُ لِي" (تكوين ٢١: ٦).

وعندما تَمَّ زمان أَلِصَابَات لِتِلْدَ، وهي أيضاً كَحَنَّة كانت عاقراً ولم تنجب إلا في شيخوختها قال الكتاب عنها: "وَسَمِعَ جِيرَانُهَا وَأَقْرِبَاؤُهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَهَا فَفَرِحُوا مَعَهَا" (لوقا ١: ٥٨).

فماذا نقول عن مولود بيت لحم الذي يُخَصُّنا كما يخصُّ مريم ويوسف؟ الذي وُلِدَ ليكون سنداً لنا في الطفولة والشيخوخة، بل تعزيةً ورجاءً في أَرْمَنَةِ الضِّيقِ. الذي وُلِدَ لِيُعِدَّ لنا منازلًا في السماء، ويكتب أَسْمَاءَنَا فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ.

إن ولادة المسيح كانت سرّاً مخفياً عن عيون الجميع، الملوك والعظماء، رجال الدين، وأهل الشريعة من كتبة وفريسيين وشيوخ، حتى أعلنها الملاك للرعاة الذين هم من دون القوم منزلةً، وأقلهم مكانةً. وكأني بكلمات المسيح تتردد وهو يقول: "أَحْمَدُكُ أَيُّهَا الْآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلْأَطْفَالِ. ٢٦ تَعَمَّ أَيُّهَا الْآبُ لِأَنَّ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ" (متى ١١). إذ

أعلنتها للرعاة المتبدين، وهذا ليس بغريب أبداً! ألم يكن يعقوب وإبراهيم وداود رعاة؟ ألم يقل الكتاب عن المسيح إنه الراعي الصالح ورئيس الرعاة، وراعي الخراف العظيم؟ يا له من خبر سماوي وصلنا عن طريق الرعاة، أن مولود بيت لحم هو لجميع الشعب، "حِينَئِذٍ امْتَلَأَتْ أَفْوَاهُنَا ضِحْكَاً وَأَلْسِنَتُنَا تَرْغُماً. حِينَئِذٍ قَالُوا بَيْنَ الْأُمَمِ: إِنَّ الرَّبَّ قَدْ عَظَّمَ الْعَمَلَ مَعَ هَؤُلَاءِ" (مزمور ١٢٦: ٢). فكم هو رائع أن نشارك الآخرين بهذه الأخبار لتبادل السعادة معهم.

رابعاً- لأن المولود هو الرب (١١)

إن هذه البشارة المفرحة عجيبة حقاً، فأن يولد ولدٌ، أمر طبيعي، إذ يولد كل يوم آلاف من الأطفال. ولكن أن يولد المسيح الرب، فهذا هو الأمر العجيب، والخبر المفرح.

قبل حوالي ٨٠٠ عام من ميلاد المسيح قال إشعياء بروح النبوة: "لأنَّهُ يُوَلَّدُ لَنَا وَلَدٌ وَتُعْطَى ابْنًا وَتَكُونُ الرِّبَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيئاً مُبَشِّيراً إِلَهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلَامِ" (إشعياء ٩: ٦). فالمولود هو المسيح الرب، عِمَّاؤُئِيل، الله الظاهر في الجسد.

كم هو عظيم ومفرح أن يشترك الله معنا في اللحم والدم، بل أن يسكن في وسطنا ونرى مجده مجدداً.

كم هو عظيم أن الله يصير إنساناً، ويختبر معاناتنا وآلامنا.

كم هو عظيم أن يقترب الله مِنَّا ليقول لنا: أنا لستُ إلهاً من بعيد.

لطالما تمنينا في قلوبنا أن يزورنا شخص ذو مقام رفيع، وحلمنا بأشخاص عديدين، ولكن لم نحلم أبداً، ولم يخطر على بالنا أن يكون الله زائرنا الرفيع.

في الأسبوع الأخير من كل عام يحتفي المسيحيون بعيد الميلاد، وهم فرحون. يهنئون بعضهم بعضاً، ويتبادلون الهدايا والكلمات، ويقىمون الولائم والأفراح،

تعبيراً عن سرورهم بميلاد المسيح. وفي هذا العيد تتأخّر لي الفرصة لزيارة الكثيرين، فأطرح على بعضهم السؤال: ماذا يعني لكم هذا العيد؟

تتنوع الإجابات، البعض يقول: إنه يوم عادي مثل بقية الأيام، فمولود اليوم لا يختلف عن بقية المواليد! والبعض الآخر لا يكثرث إطلاقاً بهذا العيد فكل ما يهمه أن يتابع المسلسلات التلفزيونية، أو الأخبار الاجتماعية والاقتصادية، أو آخر الرسائل الواردة إليه عبر الواتس أو الفيس بوك أو غيرها من وسائط التواصل الاجتماعي. والبعض الآخر يُعبّر عن فرحته بالعيد لما يجلبه من بهجة ولقاءات! بالنسبة لكل هؤلاء، إن المسيح ليس محور الحديث، ولا محور الجلسات، ولا محور العيد. فأسأل إذاً: لمن العيد، وبمن تحتفون؟

لا أريد أن يفهم من كلامي أنه ينبغي على جميع المؤمنين أن يحتفوا بالعيد، إذ لا توجد أية وصية تلزمنا أن نحتفل بهذا العيد أو غيره من المناسبات، فالكتاب يقول: "١٦ فَلَا يَكُفُّمْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ فِي أَكْلِ أَوْ شُرْبٍ، أَوْ مِنْ جَهَةِ عِيدٍ أَوْ هَلَالٍ أَوْ سَبْتٍ، ١٧ الَّتِي هِيَ ظِلُّ الْأُمُورِ الْعَتِيدَةِ" (كولوسي ٢).

ما أريد قوله: طالما أنّ الناس قررت الاحتفال بالعيد ألا ينبغي أن يعرفوا هويّة المحتفى به ومقامه! فلو علموا لتغير احتفالهم وتغيرت نظرهم لهذا العيد!

إن مولود بيت لحم ليس كبقية المواليد، فقد شق بميلاده التاريخ إلى نصفين، وصار يُقال قبل الميلاد وبعد الميلاد، وهذا ما لم يفعله أحد قبله ولن يفعله بعده. وكذلك من الجانب الروحي فقد شطّر حياة الذين آمنوا به إلى شطرين، فصار للمؤمنين اختباراتهم قبل الإيمان وبعد الإيمان.

شهدت السماء عن مولود بيت لحم إنّه المسيح الرّب، والرسول بولس يقول عنه: "الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ" (كولوسي ١: ١٥). فهو ليس ضيفاً عادياً دخل عالمنا هذا، وخرج منه كبقية المواليد، لكنّه الرّب الذي يُمسك مقاصير العالم، والذي مِنْهُ وَبِهِ، وَلَهُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ.

لكن شكراً للرب، لأنه توجد قلة قليلة مؤمنة تدرك مقام مولود بيت لحم، إنه المسيح الرب، وهم يسابقون الملائكة في التزيم والتهليل له. وكم هو رائع أن نشارك الآخرين بهذه الأخبار لتبادل السعادة معهم.

خاتمة:

ما هو سب فرحنا؟

إن كان بسبب الهدايا فهي بعد وقتٍ تفقد طابعها كهدية.

وان كان بسبب الملابس الجديدة فهي بعد وقت تصبح قديمة وتتهراً.

وإن كان بسبب العطلة فهي تنتهي بعد وقت ليبدأ يوم عمل جديد.

وان كان بسبب اللقاء مع الأصدقاء والأحباء فاللقاء أيضاً ينتهي.

إن الفرح بالثياب والهدايا والشباب والمال والأعياد هو فرح باطل وقبض الريح، فرح يعقبه حزن جديد من أحزان هذا العالم.

إن الفرح الحقيقي لن تختبره إلا عندما يولد المسيح في قلبك، لينير لك الحياة والخلود. فلو ولد المسيح في بيت لحم ألف مرة ولم يولد فيك، ستبقى إلى الأبد هالكاً. ولكن إذ يولد فيك ستنال فرحاً يبقى معك إلى الأبد.

إن مولود بيت لحم ينتظر منك أن تفتح قلبك ليولد فيه وحيث المسيح هناك الفرح الأبدي. إن كنت حزيناَ وفرحك ناقص، نحن أمامه اليوم معترفاً بخطيئتك واطلب منه المغفرة وهو يعطيك الحياة الأبدية ومعها فرح لا ينطق به ومجيد. "فَهَا أَنَا أَبْشَرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ" وأنت واحد منهم. وكم هو رائع أن نشارك الآخرين بهذه الأخبار لتبادل السعادة معهم.

وللهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.

تسبيحة الملائكة

٨ «وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّلِينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ ٩ وَإِذَا مَلَائِكَةُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ وَبَجَدَ الرَّبُّ أَضَاءَ حَوْثِهِمْ فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. ١٠ فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَأُكُ: «لَا تَخَافُوا. فَهِيَ أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَجٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لَجَمِيعِ الشَّعْبِ: ١١ أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلَّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. ١٢ وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطاً مُضْجِعاً فِي مَدْوَدٍ» ١٣ وَظَهَرَ بَعَثَةً مَعَ الْمَلَائِكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: ١٤ «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ» (لوقا ٢).

مقدمة: يأتي التسبيح تعبيراً عن حالة من المشاعر التي تغمر الإنسان، كالحزن أو الفرح، وفي كلتا الحالتين الحدث هو من يقود للتسبيح.

التفسير الوعظي: على صعيد الأمور الروحية، نقرأ عن عشرات التسابيح التي قيلت في ظروف مختلفة للتعبير عن أشواق أو احتياجات أو تساؤلات أو غيرها. ونقرأ أيضاً عن تسابيح للملائكة قيلت في ظروف مختلفة، فعندما خلق الله الأرض ترنمت الملائكة، وعندما وُلد الرب يسوع سبّحت الملائكة. وحول العرش تُسبّح الملائكة بصوتٍ عظيمٍ للحمل المذبح. فيا ليت الرب يعطينا نعمةً لتترنم ألسنتنا له في كل حين.

جملة انتقالية: إن حدث ولادة الرب يسوع المرتبط بخلاص الإنسان، أثار كمية من السعادة والفرح في أنفس الملائكة، فترنموا هذه الترنيمة التي سنقف عندها متأملين في أجزائها، ومصلّين للرب أن يعطينا نعمةً لتترنم ألسنتنا له في كل حين.

أولاً- الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي.

إن حدث ولادة الرب يسوع في بيت لحم، لم يلفت انتباه الناس، ولم يُعره أحدٌ أية أهمية. ولا غرابة في ذلك، لأنَّ النَّاسَ كانت تتوقع ولادة المسيا في القصور الفارهة،

وليس في الأكواخ البشعة. وإذ ولد المسيح في إسطنبول، ووضع في مذود، فاق بتواضعه خيال أكثر الناس توقعاً لميلاده.

وإذ نتحدث عن شبابه نجد ذات المشكلة في جهل شخصيته وعدم فهمها، حتى من قبل تلاميذه الذين رافقوه مدة خدمته. فعندما سأهم: "وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟" (متى ١٦: ١٥). احتاروا في أمرهم ولم يعرفوه لولا إعلان الله لبطرس بأنه المسيح ابن الله الحيّ.

أما الملائكة فمن أول ظهوره بين الناس بأعظم الضعف والاتضاع عرفوه مباشرة، وحسبوه الوسطة الوحيدة لإعلان مجد الله، ليس على الأرض فقط، بل في الأعالي أيضاً. فهم كانوا مهتمين بتلك الحادثة العظيمة التي تتم الله فيها مقاصده. رغم أن المسيح لم يولد لهم بل لنا، "لأنه حقاً ليس يُمسك (يُنقذ) الملائكة، بل يُمسك نسل إبراهيم" (عبرانيين ١٦: ٢).

ومع أن الملائكة من بدء الخليقة ترى قدرة الله، وأحكامه العادلة، وعجائبه في الأرض. لكنهم مع ذلك لم يروا منظرًا كهذا "وَبِالْإِجْمَاعِ (وباعتراف الجميع) عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، تَبَرَّرَ فِي الرُّوحِ، تَرَاءَى لِمَلَائِكَةٍ.. رُفِعَ فِي الْمَجْدِ" (١ تيموثاوس ٣: ١٦). فسبحوا الله قائلين: "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي".

كم نحن متباطئون جداً في فهم مجد الله المُعلن في المسيح، وبالتالي مقصرون في مدح مجده، مع أن الحوادث الأساسية كلها قد تمت، كتجسده، وموته، وارتفاعه، وعندنا إيضاحها الكامل في العهد الجديد.

أما سكان السماء فعند مشاهدتهم ابن الله مُتخذاً صورة إنسانٍ، فهموا حالاً أن ذلك من أعظم الأعمال المختصة بالله، ولا بد أن يؤول لمجده في كل الكون فسبحوا قائلين: "الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي". فيا ليت الرب يعطينا نعمة لئلا نكون متباطئين في مدح مجده، بل نُجاري الملائكة في هذا الأمر، فتترنم ألسنتنا له في كل حين.

ثانيًا- وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَام.

منذ أن سقط آدم في الخطية وقيل له: "مَلْعُونَةٌ الْأَرْضُ بِسَبَبِكَ"، باتت الأرض في الاضطراب والفوضى، وكل المدن التي شُيِّدت عليها لم تعرف ما هو لسلامها. ولم ينبُج أحد من هذه اللعنة لا الحيوانات ولا النباتات ولا الطيور ولا الزواحف، حيث تُعاني كلّها من المرض والجوع والموت.

ورغم أن الله تكلم قديماً مع الإنسان مراراً وتكراراً، بطرق وأنواع مختلفة، ليحلّ السلام بين الناس، لكن الإنسان بعناده فضّل الموت على الحياة، والاضطراب على السلام. وها هي الأرض بسبب شر الإنسان تعاني من الفساد والفوضى، فثُبتت له شوكاً وحسكاً، وتفيض عليه البحار، والبراكين، والعواصف، والتصحر، حتى لم يبق فيها مكانٌ يمنحه السلام.

ومع كل يوم يزداد فيه شر الإنسان، وتصبح أرجله سريعة إلى سفك الدماء، يزداد أنين الخليقة، منتظرة أزمنة رد كل شيء، "١٩ لَأَنَّ انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ (بفارغ الصبر) اسْتِعْلَانٌ (ظهور) أَبْنَاءِ اللَّهِ (عند عودة المسيح ليملك مع كنيسته على العالم)... ٢١ لَأَنَّ الْخَلِيقَةَ تَفْسَحُهَا أَيْضاً (في زمن عودة المسيح) سَتَعْتَقُ مِنْ عُبودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ بَحْدِ أَوْلَادِ اللَّهِ. ٢٢ فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَنْتَهِنُ وَتَتَمَحَضُّ مَعاً إِلَى الْآنَ" (رومية ٨)

تقول كلمة الرب: "لَا سَلَامَ قَالَ الرَّبُّ لِلْأَشْرَارِ" (اشعيا ٤٨: ٢٢). وطالما ظلّ الناس بدون مسيح، فإنّ طريق السلام لن يعرفوه.

ولكن ها هو المسيح في ملء الزمان يولد من عذراء في بيت لحم، والملائكة تعلن البشارة قائلة: "عَلَى الْأَرْضِ السَّلَام". فمن الآن وصاعداً صار رئيس السلام في وسط العالم المضطرب ليمنح سلامه لكل من يريد. وكل من يسمع صوته القائل: تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. ويلبّي الدعوة، سيجد راحته في المسيح، ويردد بانتصار: «فإذ قد تبرّزنا بالإيمان لنا سلام مع الله برّبنا يسوع المسيح» (رومية ٥: ١).

وبالمقابل، سيقى كثيرون من الذين صَمَّوْا آذانهم عن سماع صوته، رافضين سلامه، ليعيشوا في الألم والفوضى والاضطراب كل أيام حياتهم. فإلى متى؟

يخبرنا الكتاب المقدس أن المسيح لابد أن يظهر ثانيةً ليبارك الأرض ويملاها سلاماً، ويزيل منها العداوة والظلم بقوة حضوره عندما يملك. فيغير وجه الأرض، إذ يباركها ويملاها سلاماً وينزع الخطية والعداوة والظلم منها، وبقيد إبليس، "٦ فَيَسْكُنُ الذُّنْبُ مَعَ الْخُرُوفِ وَيَرْتَضِ النَّمِرُ مَعَ الْجُدِّي وَالْعَجَلُ وَالشَّبَلُ وَالْمُسَمَّرُ مَعَ وَصِيِّ صَغِيرٍ يَسُوقُهَا. ٧ وَالْبَقَرَةُ وَالذُّبَّةُ تَرْعَيْنِ. تَرْتَضِ (بَيْت) أَوْلَادُهُمَا مَعَ وَالْأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تَيْشاً. ٨ وَيَلْعَبُ الرِّضِيُّعُ عَلَى سَرَبِ الصَّلِّ (وكر الأفعى) وَيَمْدُ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الْأَقْعَوَانِ. ٩ لَا يَسُوؤُونَ (لا يسيء أحد) وَلَا يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلٍ قُدْسِي لِأَنَّ الْأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تَغْطِي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ. ١٠ وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ (المسيح) أَصَلَ يَسَى الْقَائِمِ رَايَةً لِلشُّعُوبِ إِيَّاهُ تَطْلُبُ الْأُمَمُ وَيَكُونُ مَحَلَّهُ مَجْدًا" (اشعيا ١١).

نعم، مولود بيت لحم الذي بشرت به الملائكة وترنمت له، سيملك مستقبلاً، ويُنظّم العالم العتيد على أساس السلام، ويزينه بالقداسة والمحبة والطاعة، ويبطل الموت ويبدئ السماء الجديدة والأرض الجديدة التي يسكن فيها البرُّ إلى الأبد.

سبق الله وأعطى الناموس عن أيدي الملائكة من وسط النار والرعود على جبل سيناء، ولكن أحداً من الملائكة لم يهتف بالسلام للأرض، لأن الناموس لم يقدر أن يُنتج سلاماً لا لإسرائيل ولا لغيرهم. أما ولادة المسيح التي أدخلتنا في عهد النعمة، فتكفّلت وحدها بتتيميم جميع مقاصد الله الصالحة، ومنها قدوم السلام للأرض، فترنمت الملائكة قائلة: "عَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ". فيا ليت الرب يعطينا نعمةً لئلا نكون متباطئين في مدح مجده، بل نُجاري الملائكة في هذا الأمر، فتترنم ألسنتنا له في كل حين.

ثالثاً- وبالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ.

يُخْبِرُنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ، أَنَّ مَسْرَّةَ اللَّهِ هِيَ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ بِالمَلَائِكَةِ، "لَذَانِي مَعَ بَنِي آدَمَ" (امثال ٨: ٣١). وَهَذَا وَاضِحٌ مِنْ قِصَّةِ الْخَلْقِ، إِذْ خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. أَيُّ أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ كَانَتْ قَبْلَ خَلْقِهِ مُذْ كَانَ فِي فِكْرِهِ، فَأَحْبَبَهُ كَفِكْرِهِ، وَلَشِدَّةَ مَحَبَّتِهِ لَهُ، جَسَّدَهُ بِالْخَلْقِ عَلَى صُورَتِهِ. وَإِذْ أَخْطَأَ الْإِنْسَانُ، وَتَمَرَّدَ وَضَاعَ بَعِيداً عَنْ اللَّهِ، وَازْدَادَتْ مَذَلَّتُهُ، تَعَاظَمَتْ لَهُ مَحَبَّةُ اللَّهِ، وَتَبَرَهَتْ بِافْتِقَادِهِ عِنْدَمَا اتَّخَذَ اللَّهُ صُورَةَ إِنْسَانٍ لِيَمُوتَ عَلَى الصَّلِيبِ مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ.

وَمَعَ أَنَّ اللَّهَ أَحَبَّ الْإِنْسَانَ مَحَبَّةً شَدِيدَةً، لَكِنَّ الْإِنْسَانَ قَابِلُهَا بِالْجُحُودِ وَالْعَصِيَانِ، لِدَرَجَةِ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجِدْ بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ مَنْ يُسَرِّهِ، فَقَالَ عَنِ الْإِنْسَانِ وَاصِفاً حَالَتَهُ: "أَنْتَ تَعْدُرُ غَدْرًا وَمَنْ الْبَطْنِ سُمِّيَتْ عَاصِيًا" (أشعيا ٤٨: ٨).

وَبَقِيَتِ الْأُمُورُ هَكَذَا حَتَّى وَلَادَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فِي مَلَأِ الزَّمَانِ، فَصَدَحَتْ حَنَاجِرُ الْمَلَائِكَةِ بِالتَّرْنِيمِ مُعْبِرَةً عَمَّا فِي فِكْرِ اللَّهِ بِالْقَوْلِ: الْآنَ "بِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ". فَمُلُودُ إِنْسَانٍ، هُوَ مَسْرَةُ اللَّهِ، وَمِنْ الْآنَ وَصَاعِداً سَيَجِدُ اللَّهُ مَسْرَةَ بَيْنَ النَّاسِ، لَيْسَ فِي شَخْصِ الْمَسِيحِ فَقَطْ، لَكِنْ أَيْضاً بَيْنَ كُلِّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ. فَالَّذِي أَنْبَأَ عَنْهُ الْكِتَابُ "هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الْأُمَمَ بِالْحَقِّ" (مَتَّى ١٢: ١٨)، هَا قَدْ وُلِدَ بَيْنَ النَّاسِ.

وَلَنْ تَمْضِيَ سَنَوَاتٌ قَلِيلَةٌ بَعْدَ تَرْنِيمَةِ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يُسْمَعَ وَقْتُ اعْتِمَادِ الْمَسِيحِ "صَوْتُ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ" (مَتَّى ٣: ١٧)، وَعَلَى جَبَلِ التَّجَلِّي يُسْمَعُ "صَوْتُ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا" (مَتَّى ١٧: ٥).

نَعَمْ بِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ، وَلَكِنْ مَاذَا عَنِ الْمَلَائِكَةِ؟ هَلْ أَصَابَهُمُ الْحَسَدُ، فَتَذَمَّرُوا عَلَى اللَّهِ. أَوَّلًا. هَلْ قَالُوا: نَحْنُ أَعْلَى مَرْتَبَةٍ مِنَ الْإِنْسَانِ، الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ مَحْدُودِيَّةٍ مِنَّا،

من جهة المعرفة والحركة والقدرة، فلما تُسرُّ به وتُفضِّله علينا؟ هل حزنوا لأن كل من آمن بالمسيح صار أكثر مجداً منهم؟ أبداً. يا لتواضعهم العميق! إذ ترغموا بفرح عندما حَسِبَ الله، الإنسان مسرته، دون الملائكة.

"٣٣ يَا لَعُمِّي غَيَّ اللَّهُ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامُهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقُهُ عَنِ الْإِسْتِفْصَاءِ! ٣٤ لِأَنَّ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟" (رومية ١١).
فنحن البشر "مُعَيَّنِينَ سَابِقًا حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ" (افسس ١ : ١١).

"وِبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ" ما أجمله من قول!

فيا ليت الرب يعطينا نعمةً لئلا نكون متباطئين في مدح مجده، بل نُجاري الملائكة في هذا الأمر، فتترنم ألسنتنا له في كل حين.

خاتمة:

إن حدث ولادة الرب يسوع المسيح المرتبط بخلاص الإنسان، أثار كميةً من السعادة والفرح في أنفس الملائكة، فترنموا هذه الترنيمة «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ». فإن كان الملائكة الذين لا يربطهم شيء بهذه الولادة قد فرحوا وترغموا، فكم بالحري نحن الذين ارتبطت حياتنا الأبديّة وعلاقتنا مع الله من خلال هذه الولادة. فيا ليت الرب يعطينا نعمةً لئلا نكون متباطئين في مدح مجده، بل نُجاري الملائكة في هذا الأمر، فتترنم ألسنتنا له في كل حين.

وللهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.

نور في بيت لحم

٨ «وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّلِينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ ٩ وَإِذَا مَلَكَ الرَّبُّ وَقَفَ بِهِمْ وَجَدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْثِهِمْ فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. ١٠ فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَكُ: «لَا تَخَافُوا. فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: ١١ أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلَّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. ١٢ وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: يَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطاً مُضْجِعاً فِي مَدْوَدٍ». ١٣ وَظَهَرَ بَعَثَهُ مَعَ الْمَلَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللَّهَ وَقَائِلِينَ: ١٤ «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ». ١٥ وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ الرَّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لِنَذْهَبِ الْآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْتَظِرَ هَذَا الْأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمْنَا بِهِ الرَّبُّ». ١٦ فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجِعاً فِي الْمَدْوَدِ. ١٧ فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلَامِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هَذَا الصَّبِيِّ. ١٨ وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرَّعَاةِ. ١٩ وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذَا الْكَلَامِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا. ٢٠ ثُمَّ رَجَعَ الرَّعَاةُ وَهُمْ يُمَجِّدُونَ اللَّهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ" (لوقا ٢).

مقدمة: يتجلى النور بأمرين على الأقل، انقشاع الظلمة، وانتشار المعرفة. وقد تغيرت حياة الكثيرين عندما دخل النور إلى بيوتهم، أو دخلت المعرفة إلى قلوبهم. وعلى سبيل المثال عندما اخترع توماس أديسون الكهرباء عام (١٨٧٩ م)، ودخلت إلى بيوت الناس غيرت نمط حياتهم، بل تغيرت المجتمعات كلها بشكل جذري. وهكذا المعرفة أيضاً التي وصلت إلى الناس بطرق متنوعة غيرتهم، فتخلوا عن السحر والشعوذة والخوف الذي يسببه الجهل.

التفسير الوعظي: هكذا أيضاً على صعيد الأمور الروحية، عندما دخل نور الإنجيل إلى حياة الناس غير نمط حياتهم، فالجرمون والأدناس والقتلة، تحوّلوا إلى مواطنين صالحين في مجتمعاتهم وقدوة في حياتهم.

جملة انتقالية: في هذا المقطع ثلاثة مجموعات من الناس أشرق عليهم نور الإنجيل، وبنعمة المسيح نريد أن نعرف كيف تعاملوا مع هذا النور. وغايتنا في النهاية أن نخضع لصوت الإنجيل الذي يقول: "اسلُّوا كَأَوْلَادِ نُورٍ".

المجموعة الأولى: الرعاة، قَبِلُوا النور إلى حين.

كان بعضٌ من رعاة الغنم قرب مدينة بيت لحم، من فقراء الناس الذين لا يهتمون بالأمور السياسية، ولا بالجد البشري. يعرفون قصص شعبيهم، وبعض مزامير جدّهم داود، يُمضون سهرتهم بالعراء، يفتشون الأرض، ويلتحفون السماء.

فجأةً، ودون سابق إنذار انقشعت الظلمة، وأضاء نور عجيب أدخل الخوف إلى قلوبهم، وقبل أن يتساءلوا عن الأمر، كلّمهم ملاكٌ من السماء يطمئنهم بالقول: لا تخافوا. ثم قدّم لهم أعظم بشارة يمكن أن يسمعها إنسانٌ من ملاك، بشارة ليست للعظماء، بل للذين هم من أذل الغنم.

وإذ استمع الرعاة ألقاب المسيح من فم الملاك، وأنّه يكون طِفْلاً مُمَطّاً مُضْجَعاً في مَدْوَدٍ، جمدت عقولهم اندهاشاً، فهذا المسيح بخلاف ما عرفوه. ومع ذلك تجاوبوا مع البشارة، وذهبوا إلى بيت لحم متراكضين بدون رعيتهم إلى حيث العلامة، و "أَخْبَرُوا بِالْكَلامِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هَذَا الصَّبِيِّ" كل من وجدوه، ثُمَّ رَجَعُوا وَهُمْ يُمَجِّدُونَ اللَّهَ وَيُسَبِّحُونَهُ.

كان من الضروري أن يدرك هؤلاء الرعاة البسطاء، أن الرّب العظيم صار طفلاً وديعاً، وأنه الآن في المذود عاجزٌ عن الكلام، ينام في حضن أمته. وإنه لم يبق روحاً مجيداً، بل أصبح جسداً يعاني الضعف نظيرنا، حتى أنه احتاج أقمطة طفل يتدفأ بها.

ورغم إدراكهم لهذه الحقيقة نجدهم بعد سنواتٍ قد تناسوا أغنيتهم التي عزفوها على قيثارةٍ، إذ في إعلان المسيح عن ملكوته لم نجد منهم أحداً. فأعمالهم قد أخذتهم بعيداً عن نور السماء.

قَبْلَ هَذَا النُّورِ كَانَ الرَّعَاةُ فِي ظِلْمَةٍ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ مَعْرِفَةٌ صَحِيحَةٌ عَنِ الْمَوْلُودِ الْمَسِيحِ الرَّبِّ. فَعَاشُوا فِي جَهْلٍ وَهُمْ يَتَوَهَّمُونَ عَنْهُ أُمُورًا كَثِيرَةً مِنْ بَنَاتِ أَفْكَارِهِمْ، أَوْ تَقَالِيدِ شَيْوَحِهِمْ. لَكِنَّ الرَّبَّ أَنْارَ أَمَامَهُمُ الطَّرِيقَ لِيَعْرِفُوا حَقِيقَةَ الْمَخْلُصِ وَيُؤْمِنُوا بِهِ، فَتَكُونُ لَهُمُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ. وَإِذْ رَأَوْا النُّورَ كَانَ تَجَاوَهُمْ مَعَهُ سَرِيعًا، لَكِنْ إِلَى حِينٍ. رِمَا هَذَا بِسَبَبِ ضَيْقِ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، أَوْ هَمِّهِ.

أَلَيْسَ هَذَا حَالُ الْبَعْضِ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ مَعْرِفَتُهُمْ عَنِ الْمَسِيحِ مَنْقُوصَةٌ أَوْ مَشْوَهَةٌ. يَعِيشُونَ حَيَاتَهُمْ وَهُمْ يَحْمِلُونَ اسْمَ الْمَسِيحِ دُونَ عِلَاقَةٍ شَخْصِيَّةٍ تَرْبِطُهُمْ بِهِ. وَإِذَا يَسْمَعُونَ عَنِ مَسِيحِ الْإِنْجِيلِ، يَضِيءُ نُورُهُ أَمَامَهُمْ، فَيَقْبَلُونَهُ، لَكِنْ إِلَى حِينٍ. فَإِذَا حَدَّثَ عَلَيْهِمْ ضَيْقٌ أَوْ اضْطِهَازٌ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ يَعْثُرُونَ، أَوْ إِنْ اصْطَدَمُوا بِمُحْضَرٍ هَذَا الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، وَخِدَاعِ الْغَنَى، يُطْفَأُ النُّورُ فِي قُلُوبِهِمْ.

مَا أَكْثَرُهُمْ فِي الْكَنِيسَةِ، أَيَّامَ النِّهَاضَاتِ، وَأَوْقَاتِ الْإِنْفِعَالَاتِ. يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ، وَإِذَا هِيَ جَدِيدَةٌ يَفْرَحُونَ بِهَا، وَيَتَفَاعَلُونَ بِعَوَاطِفِهِمْ وَدُمُوعِهِمْ مَعَهَا، فَيُقْبَلُونَ عَلَيْهَا سَرِيعًا. وَلَكِنْ بِسَبَبِ عَدَمِ وَجُودِ إِرَادَةِ لَدَيْهِمْ لِمُتَابَعَةِ الطَّرِيقِ يَرْتَدُّونَ بِنَفْسِ السَّرْعَةِ. هَؤُلَاءِ يَشْبَهُونَ يَقِطِينَةَ يُونَانَ، "الَّتِي بَنَتْ لَيْلَةً كَانَتْ وَبَنَتْ لَيْلَةً هَلَكَتْ" (يُونَانَ ٤: ١٠). يَنْكَسِرُونَ أَمَامَ آيَةٍ عَاصِفَةٍ، وَيَذُوبُونَ أَمَامَ نَارِ الضَّيْقِ. رِمَا ظَنُّوا بِدَايَةِ أَنْ الْمَسِيحِيَّةَ كُلِّهَا تَرَاتِيلُ وَعَوَاطِفُ، فَانْكَشَفُوا بَعْدَ حِينٍ إِنَّهَا مَعْرَكَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهَا الْإِنْسَانُ جَنْدِي صَالِحٌ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، فَتَقَاعِدُوا مُبَكِّرًا.

بَعْدَهُمْ بِسِنَوَاتٍ كَانَ رَجُلًا طَرَسُوسِيًّا اسْمُهُ شَاوُلُ، يَنْقُثُ تَهْدُدًا وَقَنَلًا عَلَى تَلَامِيذِ الرَّبِّ، إِذْ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالًا وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السَّجْنِ. "٣ وَفِي ذَهَابِهِ حَدَّثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَهُ أَبْرَقٌ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ ٤ فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلًا لَهُ: «شَاوُلُ شَاوُلُ لِمَاذَا تَضْطَهِّدُنِي؟» ٥ فَسَأَلَهُ: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِّدُهُ. صَعَبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاحِسَ». ٦ فَسَأَلَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: «يَا رَبُّ مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» (أَعْمَالُ ٩)

هذا الرجل كان لديه معرفه مشوهة عن شخص المسيح، ولكن عندما أبصر النور قرر بخلاف الرعاة أن يتبع النور إلى الأبد. ورغم هوم هذا العالم وضيقاته كان لسان حاله: "لأنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ أَنَّ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لِإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ بَحْدِ اللَّهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢ كورنثوس ٤: ٦). "مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشَدَّةٌ أَمْ ضِيقٌ أَمْ اضْطِهَازٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُزِّيٌّ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟" (رومية ٨: ٣٥).

لقد فشل الرعاة في متابعة الطريق رغم النور العظيم الذي أضاء عليهم، ومثلهم فشل الكثيرون، لكن رجاؤنا، وصلاتنا في المسيح يسوع، أن كل من أنار الإنجيل طريقه يستمر إلى النهاية ولا يخيب من النعمة التي أنارت أمامه الحياة والخلود، وأن يخضع لصوت الإنجيل الذي يقول: "اسْلُكُوا كَأَوْلَادِ نُورٍ".

المجموعة الثانية: أهل بيت لحم، تعاملوا مع النور بلا مبالاة.

لما مضت الملائكة إلى السماء، جاء الرعاة متراكضين بدون رعيتهم إلى حيث العلامة، فاضطرب الناس منهم ومن مشهد النور في الليل، وإذ تبعوهم إلى حيث مريم ويوسف، والطفل مضجعا في المذود، وسمعوا ما قيل عن الصبي تعجبوا، وإذ نظروا حالة المولود تعجبوا أكثر. ومع ذلك لم يترك فيهم هذا الحدث أي أثر، فمع أن الجميع مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ، أي هم أقرباء مريم ويوسف، لا يخبرنا الكتاب المقدس أن أحداً من أهل بَيْتِ لَحْمٍ قد اهتم بالمولود، أو بمريم.

ولما غادر الرعاة الإسطبل ملأوا القرية بأخبارهم العجيبة، "وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعَاةِ"، وظنوا ذلك من تخيلاتهم، فلم يعيروا الأمر اهتمامهم. بل لم يكن لديهم رغبة، أو وقتاً لزيارة الإسطبل لكثرة الانشغال بكسب المال من السباح المزدحمين، والمالئين كل البيوت، فخسروا بذلك امتياز رؤية ملكهم والسجود له، مع أنه في وسطهم، ليظلوا عمياناً في بصائرهم.

تقول كلمة الرب: "الشَّعْبُ الْجَالِسُ فِي ظُلْمَةٍ أَبْصَرَ نُورًا عَظِيمًا وَالْجَالِسُونَ فِي كُورَةِ الْمَوْتِ وَظِلَالِهِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ" (متى ٤: ١٦) وهؤلاء لا يباليون!

لو كانوا عميانا بالفعل، لما كانت عليهم خطيئة. ولكنهم الآن يبصرون، لذلك فإن خطيئتهم باقية. من أجل ذلك قال الرب يسوع: "وَهَذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شَرِيرَةً" (يوحنا ٣: ١٩). فالذين رفضوا النور ليس لقلة الأدلة والبراهين، لكن لأن أعمالهم كانت شريرة.

يا للمفارقة! جاء الجوس من المشرق ليتعرفوا على المولود ملك اليهود، الذي تَشْتَهِي الْمَلَائِكَةُ أَنْ تَقِفَ خَادِمَةً فِي مَحْضَرِهِ. وانتم يا أهل بَيْتِ لَحْمٍ تتجاوزون عنه، مع أنه جاء لِيُخْدَمَكُمْ، ويشفي الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، وَيُنَادِي لِلْمَاسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ، وَلِلْعُمَى بِالْبَصَرِ وَيُرْسِلُ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ.

عجبي من مريض لا يبالي بطبيب، وجائع لا يبالي بجهاز، وعطشان لا يبالي بساق! أليس هذا حال الكثيرين اليوم؟

يعانون الجوع، وفي وسطهم الحُبز الحقيقي النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، القائل: "أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يَقْبَلْ إِلَيَّ فَلَا يَجُوعُ" (يوحنا ٦: ٣٥).

يعانون العطش، وفي وسطهم القائل: "مَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلَا يَعْطَشُ أَبَدًا" (يوحنا ٦: ٣٥) "بَلِ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعٌ مَاءٍ يَنْبُعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ" (يوحنا ٤: ١٤).

يعانون الظلمة، وفي وسطهم القائل: "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّبِعْنِي فَلَا يَمَسِّي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ" (يوحنا ٨: ١٢).

يعانون الموت الروحي، وفي وسطهم القائل: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ" (يوحنا ١١: ٢٥ - ٢٦)

ما أصعب ظروف الناس، ومع ذلك لا يبالون بالمسيح الرَّبِّ. أعمالهم أهم، روتين حياتهم أهم، علاقاتهم الاجتماعية أهم، نفوذهم السياسي أهم، مركزهم المالي أهم، الخطيئة التي استعبدتهم أهم، كل شيء يقيهم في الظلام الدامس مقبول وتحت النقاش، أما القائل: "مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ" (يوحنا ٩: ٥)، فهذا لا نُكَلِّمُنَا عنه، إذ لا وقت لدينا! بل "مَنْ هُوَ الْقَدِيرُ حَتَّى تَعْبُدَهُ وَمَاذَا تَنْتَفِعُ إِنْ التَّمَسَّنَا؟!" (أيوب ٢١: ١٥)

ذاك الغني العجبي المشغول بنفسه عن أمور الله، والذي لم يكتشف غبائه إلا عند دنو أجله، كان واحداً منهم. إنه بلا مبالاة، لم يلتفت إلى الله ظاناً أن الله سيعامله بالمثل، لكن عدم التفاته إلى الله لم يمنع الله أن يلتفت إليه. وبينما هو يطلب لنفسه الراحة طلبها الله للدينونة.

لاحظ ماذا يقول الرب مِنْ جِهَةِ إِسْرَائِيلَ اللامبالي: "بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ" (اشعيا ٦٥: ٢). فأرسل إليهم بولس وبرنابا فقالا لهم: "كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلِّمُوا أَنْفُسَكُمْ أَوَّلًا بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ وَحَكَمْتُمْ أَنْكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الْأُمَمِ" (أعمال ١٣: ٤٦). وهكذا كل من يتجاهل النور، كل من يسمع البشارة ويتعامل معها بلا مبالاة يَحْكَمُ على نفسه أنه غير مستحق للحياة الأبدية.

فإن أشرق عليك النور، ودوى صوت الإنجيل في مسامعك يحدثك عن مولود بيت لحم، يسوع المخلص، لا تكن غير مبالي، بل ثُبْ عن خطيئتك وانضع لصوت الإنجيل الذي يقول: "اسْكُوبَا كَأَوْلَادِ نُورٍ".

المجموعة الثالثة: مريم، قَبِلْتَ النور إلى المنتهى.

أسرع الرعاة لينظروا المنظر العجيب الذي كان خبره قد بلغهم بفم ملاك الرَّبِّ، ووجوده تماماً كما قيل لهم: "طِفْلاً مُقَمَّطاً مُضْجِعاً فِي مَدْوَدٍ"، فلما تيقنوا، أخذوا يخبرون بما قيل لهم بخصوص هذا الطفل. فكان كل من سَمِعَ يتعجب من كلامهم،

"وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذَا الْكَلَامِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي قَلْبِهَا"، فالحديث عن يسوع سبب فرحاً لملائكة السماء كما ولعاري اسمه على الأرض أيضاً، لذلك حفظت هذا الكلام إلى النهاية.

كان لديها الإيمان بهذا الولد العجيب، ولأن الإيمان يقوى وينمو بواسطة كلام الله وإعلاناته، احتاجت إلى أن تتأمل في ما سمعته. وإذ نتبع مسيرة إيمانها نجدها واقفة عند صليب المسيح، ثم نجدها بعد صعود المسيح مع الرسل وإخوة يسوع يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبية.

فالذي قيل فيه: "نُورٌ إِعْلَانٍ لِلْأُمَمِ" (لوقا ٢: ٣٢)، و "فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورُ النَّاسِ" (يوحنا ١: ٩). أحبته مريم وسارت في طريقه، بعد أن قبلته رباً ومخلصاً لحياتها عندما قالت: "تَعْظُمُ نَفْسِي الرَّبَّ ٤٧ وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخْلِصِي" (لوقا ١).

مازالت الأخبار السارة إلى الآن تنتشر في كل مكان، ونور المسيح يسطع على الكثيرين، والناس بين مصدق، أو لا مبالي، أو رافض للخبر.

قال الرب يسوع: "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّبِعْنِي فَلَا يَمَشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ" (يوحنا ٨: ١٢)، وإذ أشرق النور على مريم سارت خلفه، فلم تعثر، لأنه "إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمَشِي فِي النَّهَارِ لَا يَعْتَرُ لَأَنَّهُ يَنْظُرُ نُورَ هَذَا الْعَالَمِ" (يوحنا ١١: ٩).

لقد غيرَ النور حياة الكثيرين، إذ حوّلهم إلى أبناء نُورٍ وأبناء نهارٍ، فصاروا هم أيضاً نُورَ العالمِ. وإذ أضاء نورهم قُدامَ النَّاسِ، تمجّد الله في أعمالهم الحسنة. فانطبق عليهم قول الكتاب: "لَأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلًا ظُلْمَةً وَأَمَّا الْآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلَادِ نُورٍ" (افسس ٥: ٨). ومن بين هؤلاء حدثنا الكتاب المقدس عن مريم المجدلية، والمرأة السامرية، وزكا العشار، ونيقوديموس، وشاول الطرسوسي، ولصّ مصلوب، وغيرهم كثير. وإلى الآن مازال النور مُشرقاً، من خلال الوعظ والتزيم

وسلوك المؤمنين، مُغيّراً في حياة الناس. وأرجو أن يكون قد غيرك أنت أيضاً
لتخضع لصوت الإنجيل الذي يقول: "اسلُكوا كَأَوْلَادِ نُورٍ".

الخاتمة: في هذا المقطع ثلاثة مجموعات من الناس أشرق عليهم نور الإنجيل:

المجموعة الأولى: الرعاة، وقد قَبِلوا النور إلى حين.

المجموعة الثانية: أهل بيت لحم، وقد تعاملوا مع النور بلا مبالاة.

المجموعة الثالثة: مريم وقد قَبِلَت النور إلى المنتهى.

ما هو موقفك ومن تشبه في هذه القصة؟

أما زِلت في ليل الخطايا كما كان الرعاة قبل أن يظهر لهم الملاك؟

أم ما زِلت لا مبالياً كأهل بيت لحم عند استماعهم بشرى الخلاص؟

أو أنك سمعت البشارة السارة فأمنت بها وسرت في النور زمان غربتك في هذا
العالم؟ فانطبق عليك قول الإنجيل "اسلُكوا كَأَوْلَادِ نُورٍ". وها أنت تسلك
وتعيش في النور.

وللهناكل المجد إلى الأبد. آمين.



معاني الميلاد

"٤ فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ ٥ لِيُكْتَسَبَ مَعَ مَرْثَمِ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى . ٦ وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ . ٧ فَوَلَدَتْ ابْنَهَا الْبَكْرَ وَوَمَطَّطَتْهُ وَأَضَجَّتْهُ فِي الْمِذْوَدِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ" (لوقا ٢).

"١٦ لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يوحنا ٣).

مقدمة: كل حدث رافقنا أو سمعنا عنه يرتبط بعقولنا بمعنى ما، فمثلاً عندما نسمع موسيقى معينة تعود ذاكرتنا إلى الوراثة سنوات عديدة، فنذكر الأحداث والمشاعر التي ارتبطت بهذه الموسيقى. وعندما نكون في فصل الشتاء مثلاً نتذكر ما يرتبط بهذا الفصل من ثلوج وأمطار وطعام ساخن والمدافئ التي تلتهب نيرانها رداً على قساوة الشتاء.

التفسير الوعظي: هكذا أيضاً على صعيد الأمور الروحية فكل قصص الكتاب المقدس التي نقرأها تحتوي معنى أو أكثر، ومن بين هذه القصص قصة ميلاد الرب يسوع المسيح التي ترتبط بذاكرتنا بليالي الشتاء الباردة، والمعايدات، وأجراس الكنائس، وغيرها من أمور.

جملة انتقالية: إن قصة الميلاد تتضمن معاني أوسع من ذاكرتنا الطفولية. والكتاب المقدس وحده، دون ذكريات الميلاد، يعطي المعاني الحقيقية للميلاد، ويدعونا بهذه المناسبة أن نعمل ما يرضي الرب يسوع.

فماذا يعني لنا الميلاد؟ خاصة وأننا في أيام الميلاد.

أولاً-الميلاد يعني، إنَّ الله محبة.

لو تساءلنا: ما هو الدافع وراء زيارة الله لعالمنا؟ خاصة وان هذه الزيارة تُعتبر تضحية كبيرة جداً قام بها الله تجاه الإنسان، لما وجدنا إلا جواباً واحداً، هو محبته الشديدة لنا. فما هي قصة هذه المحبة؟ وكيف نشأت؟

في الأزلية السحيقة، في البدء الذي لا بدء له، هناك في ذهن الله تصوّرت فكرة عن خلق الإنسان. أحب الله فكرته لصالحها، ومن شدة محبته لفكرته، عندما تمّمها، خَلَقَ الإنسانَ عَلَى أبهى صورة، على صُورته.

وبخلاف كلّ الخليقة، وتميّزاً عنها، من شدة محبته للإنسان، تَفَحَّ في أنفهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً، أي مخلوقاً خالداً. ثُمَّ صَنَعَ لَهُ جَنَّةً تَحْوِي كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ، وَجَنَّةٍ لِلاْكُلِ، ووضعها فيها. ولأنّه لَيْسَ جَيِّداً أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحدهُ، صَنَعَ لَهُ مُعِيناً نَظِيرَهُ، وَسَلَّطَهُ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّ وَكُلِّ طُيُورِ السَّمَاءِ، وأعطاه الحرية في اتخاذ القرار. ولأن الإنسان فكرته التي أحبها، إذ اكتملت عطاياه للإنسان، تَوَجَّهَ بِأَن صار في شركة معه.

كانت غاية الله من الخلق، أن يكون الإنسان الذي أحبه، في شركة معه بملء إرادته، ليتمتع بأفراحه. لكن الإنسان أساء استخدام حريته، فتمرد على الله وتاه بعيداً عنه، وصار مستحقاً الدينونة الأبدية.

أمّا الله الذي أَحَبَّ الإنسان -فكرته وإبداعه- فقد أَسَفَ عليه، وهاله ما أوصلته إليه حريته. فسارع إليه لكي لا يبقى لمصيره، وجاءه على صورة إنسانٍ، ليردّه من جديد للشركة معه. فَأَخْلَى "نَفْسَهُ، أَخَذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبهِ النَّاسِ. ٨ وَإِذْ وَجَدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانُسانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتَ الصَّليبِ" (فيلبي ٢). لينقذ الإنسان من الموت الأبدي، ويعيده إليه مشابهاً صورة ابنه. وهكذا كشفت زيارة الله لعالمنا محبته الشديدة لخليقته، ورغبته في عمل أعظم تضحية من أجلها، "لأنّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ

بِهِ بَلَّ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ". وبحسب الآية تستطيع أن تستبدل كلمة (العالم) باسمك، فتصبح الآية رسالة تُعبّر عن محبة الله الشخصية لك.

تقول كلمة الرب: "بِهَذَا أَظْهَرْتُ مَحَبَّةَ اللَّهِ فِينَا (لنا): أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ" (١ يوحنا ٤: ٩). وحتى نحيا به كان لا بد أن يتجسد، ويموت نيابة عنا. إذن، قصة الميلاد هي قصة محبة الله لنا، التي دُونَهَا ما وُلِدَ المسيح في عالمنا.

فقبل أن تتذكر ليالي الشتاء الباردة، وزيارة الأحياء، والزيارات الجميلة، تذكر أَنَّ الله محبة. وأنه يحبك بشكل شخصي، وأنه لو لم يكن في عالمنا شخص آخر غيرك لما تواني عن فدائك. لاحظ كيف يُعبّر الرسول بولس عن هذه الحقيقة بالقول: "الَّذِي أَحْبَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي" (غلاطية ٢: ٢٠).

فإن كان هذا هو عمق محبة الله لنا، كيف ينبغي أن تنعكس محبته في حياتنا؟ على الأقل هناك ثلاثة مجالات من خلالها نُظهر محبتنا لله:

أولاً- بأن نحفظ وصاياه، حيث قال الرب يسوع: "إِنْ أَحْبَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلَامِي" (يوحنا ١٤: ٢٣). وهذا معناه أن محبتنا له ليست بترداد الكلام، بل بالعمل بكل وصاياه، فلا زيادة عليها ولا انقاص منها.

ثانياً- بأن نحب المؤمنين، حيث قال الرب يسوع: "وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (يوحنا ١٣: ٣٤). فعلاقتنا ببقية المؤمنين لا تقوم على الواجب، أو المكان الذي يجمعنا، بل على المحبة التي انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعْطَى لَنَا. وهذه المحبة ينبغي أن تعادل في شدتها شدة محبة المسيح لنا، وامتاحتها مرتبط بكلماته حيث قال: "٣٥ لَأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَأَوْتِئْتُمُونِي. ٣٦ غُرْبَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزَرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمُونِي" (متى ٢٥). وعندما سأله الأبرار متى حدث هذا أجابهم: "الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدٍ إِخْوَتِي هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ فِي فَعَلْتُمْ".

ثالثاً- بأن نحب من لا يحبوننا، حيث قال الرب يسوع: "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِينَكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (متى ٥: ٤٤).

إنَّ المياه الكثيرة لا تستطيع أَنْ تُطْفِئَ الْمَحَبَّةَ وَالسُّيُولَ لَا تَعْمُرُهَا. فإن كنت تحب المسيح حقاً، وتريد أن تحتفي بميلاده، فعليك أن تحمل الهدايا معك وتقربها إليه. وإن سألت عنه أين يوجد؟ لتمنحه هداياك، أقول لك: يسوع في الجائعين والمحتاجين والمرضى والعُريانين. اذهب إليهم، وهناك قَدَمُ الهدايا التي معك ليفرح بك، ذاكراً هذا الحق: اعمل ما يرضي يسوع.

ثانياً- الميلاد يعني إن الله أغنانا بتواضعه

بسبب الاكتئاب ذهب يوسف مع مريم إلى بَيْتِ لَحْمٍ. وما أن وصلا بعد رحلة شاقة ومضنية، حتى وجدا الفنادق التي في بَيْتِ لَحْمٍ مزدحمة بالزوّار الذين جاؤوا للاكتئاب. وبسبب فقرهما لم يجدا مكانا للمبيت. والغريب أن أحداً من سكان المدينة لم يقبلهما كضيوفٍ في منزله رغم أنهما من سلالة داود، ومن سبط يهوذا، أي أنهم أقرباءهم. ثرى ألم تُحَرِّكَ هذه الأخوة الشفقة في قلوبهم، لاسيما أن المباركة مريم في أيامها الأخيرة، وتكاد تضع مولودها!

عندما أغلقت الأبواب في وجه يوسف ومريم وجدا نفسيهما في إسطنبول الحيوانات، وفي هذا المكان الوضيع، وفي سكون الليل، وبينما الناس جميعاً غافلون وضعت مريم مولودها، ثم قمطته، ووضعته في المذود!

يا للعجب، يسوع المسيح المبارك، ابن الله الحي، قد قرر في يوم معين، ولأجل هدف سام، أن يدخل تاريخنا البشري مولوداً من عذراء في قرية صغيرة- بَيْتِ لَحْمٍ- وأن يكون المذود، فراش مولده، أقل قيمة من فراش أكثر الناس فقراً. فالذي ترك مجد السّماء، وارتضى أن يسكن الأرض، لم يبق من فرق عنده أن يولد في قصرٍ عظيم، أو كوخٍ حقيرٍ.

ربما تساءلت مريم في نفسها قائلة: أَلَمْ يَقُلْ لِي الْمَلَاكُ عَنْ طِفْلِي "٣٢ هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ ٣٣ وَمَلِكٌ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نَهَايَةٌ" (لوقا ١)، فكيف يولد في إسطنبول، ويوضع في معلف الحيوانات!

والآن حاول أن تتخيل نفسك وأنت تقوم بمهمة حقيرة، أو بتمثيل دور لا يليق بمستواك لضرورة ما. يا له من أمر محرج جعل العرق يتصبب من جبينك. والآن حاول أن تتخيل الله الساكن في نور لا يُدنى منه، الذي سماء السماوات لا تسعه، الذي جُند السماوات يرتعون بأمره، قد أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس. وإذ ظهر بهيئة إنسان، أمعن في الاتضاع، فولد في عائلة فقيرة، ونام في مذود. ولم يكن له في شبابه أين يُسندُ رأسه، فنام في الحدائق، والطرقات والبساتين. جُرب كما يُجرب الناس لكن بدون خطية، فشر بجوعنا، وظلمنا، وفقرنا، وكأبتنا. اختبر الوحدة، والرفض من الأهل والأصدقاء. جاز في بوتقة الموت الملطّخ بالعار، موت الصليب! ومن منا يعلم ما هي مشاعره في تواضعه هذا! ولكن ما آل إليه هذا التواضع هو الأعجب!

"فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمْ اقْتَفَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لَكِنْ تَسْتَغْنَوْنَ أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ" (٢ كورنثوس ٨: ٩)

ومن يعرف مقدار غنى المسيح الذي لا يستقصى، الذي صار من أجلنا لكي نستغني بفقره! أما إن تساءلت بما أغنانا، فيجيبك الكتاب:

-أَغْنَانَا بِالْغَفْرَانِ: "الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ" (أفسس ١: ٧). من يستطيع أن يحصى عدد خطاياه؟ لا أحد. فشكراً لله من أجل غنى النعمة التي غفرت ما لا يحصى من آثام وشرور!

-أَغْنَانَا بِالْمَجْدِ: "مُسْتَبِيرَةٌ عُمُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَحَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقَدِيسِينَ" (أفسس ١: ١٨). ما هي سعة المجد التي جعلها لنا،

من شدة سعتها تكاد لا تُصدَّق، اسمعه يخاطب الآب السماوي قائلاً: "وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني" (يوحنا ١٧: ٢٢). أي كل ما له صار لنا!

-أغنانا بالقوة: "لكي يُعطيكُم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن" (أفسس ٣: ١٦). لاحظ، ليس من مجده، وإلا لأعطانا النذر اليسير وهذا يكفي ويزيد، لكن بحسب غنى مجده!

قيل: إن الإسكندر المقدوني جاءه صديق قديم يشكو ما وصل إليه حاله من فقر، وكان يرجو أن يمنحه بعضاً من المال. لكنه فوجئ بالإسكندر يعينه والياً على مقاطعة كبيرة. وإذا استغرب من وسع العطية قال له: طلبت القليل فأعطيتني الكثير! أجابه الإسكندر: أنت تطلب بحسب احتياجك، وأنا أعطيك بحسب غناي! وبالمقارنة مع المسيح، مع فارق الغنى، تخيل المسيح عندما يُعطيك بحسب غناه، كم يكون عطاؤه!

إن تواضع المسيح تعزية لنا، إذ يُشجعنا للدنو منه، فمن نزل هذا العمق السحيق ليس ببعيد عن آلامنا، وجراحاتنا، وكل استغاثة نرفعها من هوة سقطنا فيها.

لذلك حينما ترى الطفل مُقْمطاً ومضجعاً في المذود، لا تسمر عينك على ميلاده في الجسد، بل ارفعهما إلى فوق، وتأمل مجده الإلهي، هناك ستره "جالساً على كرسي عالٍ ومُرتفعٍ وأذْيَالُهُ تَمَلُّهُمُ الْهَيْكَل" (إشعيا ٦: ١). وسترى السُرايِمَ يمجّدونه بالتسبيح، كما مجّده الجنود السماوي على الأرض أمام الرُعاة. فرغم تواضعه يبقى السيد صاحب السلطان القادر أن يرثي لكل ضعفاتنا.

كيف لا نحبّه؟ كيف لا نعبدّه؟ كيف لا نُجَلِّه؟ كيف لا يكون تاج رؤوسنا، وزينة بيوتنا؟ كيف لا نفتخر به أمام القاصي والداني؟ كيف لا نعمل ما يرضي يسوع؟ لا سيما وهو القائل: لأني أعطيتكم مثلاً حتى كما صنعتُ أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً" (يوحنا ١٣: ١٥).

خاتمة: اليوم ونحن نحتفل بعيد ميلاد من أحبنا، وأغنانا غنى لا يستقصى. دعونا نسأل أنفسنا هل أبصارنا مركزة عليه لكي نشكره من أجل محبته وعطاياه. أم أن أبصارنا مركزة على زينة العيد، وطعام العيد، وثياب العيد، وسهرة العيد.

في وسط ضجة العيد والتزاحم على المشتريات، أرجوا أن لا ننسى أن هناك شخصاً اسمه يسوع، يبحث عن مكان في قلوبنا لكي يستريح فيه وسط هتافات الشكر والحمد له. وأنه يأمل فينا أن نذهب إليه في المحتاجين، والفقراء، واليتامى، والمعوزين، والمرضى، لكي نزوره بمدايانا التي يرجو أن يراها في أيدينا!

إنها دعوة لنا لنعمل ما يرضي المسيح، فاعمل ما يرضيه.

وللهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.



ما هو موقفك من مولود بيت لحم؟

١ «وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ إِذَا بِمَجُوسٍ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ ٢ قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ». ٣ فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرْبَ وَجَمِيعَ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ. ٤ فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَكُتَبَةِ الشَّعْبِ وَسَأَلَهُمْ: «أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟» ٥ فَقَالُوا لَهُ: «فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ لِأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: ٦ وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَرْضِ يَهُودَا لَسْتَ الصَّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُودَا لِأَنَّ مِنْكَ يُخْرَجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ». ٧ حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرًّا وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ. ٨ ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَقَالَ: «اذهَبُوا وَافْحصُوا بِالتَّحْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضًا وَاسْجُدَ لَهُ». ٩ فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقَ حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. ١٠ فَلَمَّا رَأَوْا النَّجْمَ فَرَحُوا فَرَحًا عَظِيمًا جَدًّا ١١ وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ وَرَأَوْا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ ثُمَّ فَتَحُوا كُتُوبَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَبًا وَلُبَانًا وَمُرًّا. ١٢ ثُمَّ إِذْ أَوْحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلُمٍ أَنْ لَا يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ انصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى كُورَثَهُمْ... ١٦ حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ سَخَرُوا بِهِ غَضِبَ جَدًّا فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ ثُخُومِهَا مِنْ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونَ بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ. ١٧ حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ: ١٨ «صَوْتُ سَمْعٍ فِي الزَّامَةِ تَوْخٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلَادِهَا وَلَا تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُؤْجِدِينَ». " (متى ٢)

مقدمة: هناك أمور كثيرة في الحياة ليست مصيريّة، ونحن لا نشعر بأي مشكلة إن اتخذنا منها مواقف خاطئة، لأننا ندرك في النهاية أننا قادرون على تصحيح الخطأ. لكن بالمقابل هناك أمور مصيريّة جداً إن اتخذنا منها مواقف خاطئة، نعرض أنفسنا لخطرٍ جسيم لا يمكن النجاة منه. وكأمثلة على ذلك:

(١) قراري في شراء هذه الثياب أو تلك، قراري في زيارة هذا الصديق أو ذاك، لا يرتب عليّ أيّة مشكلة إن كنت صائباً أو مخطئاً.

(٢) قراري في الردّ على الطبيب الخارج من غرفة العمليات وهو يقول لي: زوجتك ستلد طفلاً، ومع الأسف لا يمكن إنقاذ الاثنين، عليك الاختيار بين الأم والمولود. إن الخطأ في مثل هذا القرار لا يمكن إصلاحه أبداً.

التفسير الوعظي: على صعيد الأمور الروحيّة الأمر يختلف، إذ يوجد قرار وحيد يتعلق عليه مصيرنا الأبدي، وهو يواجهنا كلّ يوم، وينبغي أن لا نخطئ فيه. هذا القرار مرتبط بموقفنا من مولود بيت لحم.

جملة انتقالية: تخبرنا كلمة الرب في هذا النص عن ثلاثة مجموعات من الناس، كلّ منها اتخذ قراراً من جهة مولود بيت لحم، وهي تمثل مواقف كل الجنس البشري تجاه يسوع. وسنحاول في النهاية أن نحدد إلى أي مجموعة ينتمي كلّ منا، وبالتالي ما هو القرار الذي تبنيه أو سنتبناه؟ وأرجو أن يكون قرارنا هو، إكرام المسيح.

المجموعة الأولى: يمثلها هيرودس، وموقفها من مولود بيت لحم، العداء والكراهية (عدد ١٦).

في البداية دعونا نتعرف إلى هذا الشخص المدعو بالملك هيرودس، والذي في أيام ملكه وُلد ملك الملوك وربُّ الأرباب، يسوع المسيح، له المجد.

تاريخياً، يُلقب بهيرودس الكبير. وقد اتصف بكونه رجلاً قاسياً، غيوراً، كثير الوسوس، يديه مُضرحة بالدم. وهو يفتقر إلى الاتزان في شخصيته، فإذا داخله الشك من نحو أي شخص أنّه ينافسه في سلطانه، أزاله من أمامه، أو قتله بلا تردد. ولهذا السبب قتل زوجته (مريام)، وأمها (الكسندرا) وابنه الأكبر (انتيانز) وابنيه (الكسندر) و (ارستوبولس).

روى المؤرخ (يوسيفورس) أن (هيرودس) عندما مرض مرضه الأخير، جمع الكثير من وجوه اليهود وأعيانهم، وسجنهم في مكان واحد، وأمر بقتلهم ساعة موته، لكي تكون مناحة في كل أنحاء المملكة، بدل الفرح.

لذلك نستطيع أن ندرك ما يمكن أن يشعر به هذا الملك، عندما سمع من المجوس عن ميلاد طفل سيكون ملكاً لليهود. لقد خاف أن ينقلبوا عليه ويعزلوه، ثم يقيموا ملكهم الجديد، فهو مكروه منهم لأنه أجني لاحقاً له في الملك عليهم. وإذا سمعت أورشليم أيضاً أن المجوس يقولون: "أين هو المولود ملك اليهود؟"، اضطربت. لأنهم يعرفون كيف يفكر هيرودس، وأنه لابد من أمر مرعب قادم عن يديه. وبالفعل عندما اعتقد أن المجوس سخروا منه غضب، وازداد خوفه من حقيقة منافسة يسوع له على سدة الملك. فأرسل جنوده، وقتل جميع الأولاد الذين في بيت لحم، وفي كل تخومها، من ابن سنتين فما دون، صانعاً بذلك مجزرة، ذهب ضحيتها عشرات الأطفال الأبرياء.

هذا هو الموقف الأول، موقف هيرودس، موقف العداء والكرهية من يسوع مولود بيت لحم.

إن اضطراب هيرودس، يشبه اضطراب الكثيرين الذين يسمعون عن الرب يسوع. ذاك خاف أن يخسر ملكه إن دخله يسوع، وهؤلاء يخشون أن يفقدوا امتيازاً ما إن دخل المسيح حياتهم، لذلك يفضلون المقاومة والعداء.

عندما يتقابل هؤلاء مع المسيح يتقابلون مع النور، ولأن النور يضيء في الظلمة كاشفاً كل ما فيها من عفونة، سيسمعونه يقول لكل واحد منهم: أريد أن أملك على قلبك، فاترك هذه العادة التي تسيطر على حياتك. هذا المال الذي تعتبره حقك تنازل عنه لأخيك. هذه المجموعة من الناس اتركها. هذه المشاهد ابتعد عنها. هذا الطريق لا تسير فيه.

في النهاية ستضطرب مثل هيرودس وتقول: لا. وربما تكرر قول اليهود لبيلاطس عن المسيح: لا نريد أن هذا يملك علينا، اصلبه، اصلبه. وبذلك تُعلن العداء والكراهية له.

مركزك أهم ولا تريد التضحية به، مالك أهم ولا تريد التضحية به، أصدقاؤك أهم ولا تريد التضحية بهم، روتين حياتك أهم ولا تريد التضحية به، الخطيئة تُسرِّك ولا تريد التضحية بها. فما أن تسمع عن يسوع حتى تفعل كهيرودس، تسأل عنه، وعن مكان تواجهه فيقال لك: يسوع يتواجد بين هؤلاء الناس. فتذهب إليهم معلناً الحرب عليهم. تريد قتلهم، وإن لم تقدر، تُشهر بهم، وتطلق الشائعات عنهم، وتصادر كتبهم المقدسة، وتُبذهم التي يوزعونها، وكل ما يمت إليهم بصلة. لكن في النهاية تذكر، أن هيرودس لم يقدر على قتل المسيح، وشاول الطرسوسي لم يقدر على قتل كنيسة المسيح، وأنت أيضاً لن تقدر على محاربة المسيح، لأن من تحاربه هو يسوع المسيح الرب، مولود بيت لحم. فهل تعيد النظر بموقفك منه، وتتحول من موقف العداء والكراهية، إلى موقف الإكرام.

المجموعة الثانية: يمثلها رؤساء الكهنة، وموقفها من مولود بيت لحم، اللامبالاة (عدد ٣-٦).

من هم رؤساء الكهنة، وكتبة الشعب؟

إن رؤساء الكهنة هم رؤيس الكهنة في ذلك الوقت، وجميع الذين بلغوا هذه الرتبة قبله، ثم عُزلوا عنها. إضافة إلى كل رؤساء فرق الكهنة والتي يبلغ عددها أربع وعشرون فرقة.

أما كتبة الشعب فهم خلفاء (عزرا) الذي صعد من بابل "وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاه الرب إله إسرائيل" (عزرا ٧: ٦). ووظيفتهم نسخ الكتب المقدسة وتفسيرها وجمع تقاليد الشعب. وكانوا يلبسون ثياباً خاصة (طيالسة)،

وَيُعَرِّضُونَ عَصَائِبَهُمْ وَيُعْظُمُونَ أَهْدَابَ ثِيَابِهِمْ، ليكون تمييزهم واضحاً، وليقدم لهم الناس التحيات اللائقة في الأسواق.

عندما سأهم هيرودس، أين يولد المسيح؟ قدّموا له إجابةً دقيقةً جداً إذ قالوا له: "فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ لِأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ"، أي هكذا تشير النبوات. فتقافتهم الدينيّة واسعة، وهم يعرفون الكتاب المقدّس من الألف إلى الياء، ومع ذلك عندما سمعوا بولادة المسيح لم يهتموا على الإطلاق، رغمّ أنه محور الكتاب المقدس والنبوة. لذلك لم يُكلّفوا أنفسهم عناء الذهاب إلى بيت لحم للتأكد من مولد ملك اليهود.

ما أكثر الناس الذين تمثلهم هذه المجموعة! إنهم يعرفون الكثير عن الإنجيل، وعن يسوع، لكنهم لا يعرفون يسوع.

يجادلون ويحاورون في كلمة الله، ليس من أجل الحق، لكن ليؤكدوا للطرف الآخر أنه لا يسبقهم أحد في معرفة الكتب المقدسة.

تدعوهم لحضور الاجتماع يقولون بكبرياء: نعرف أكثر من الواعظ. وإذا تكلموا بلباقة يقولون: هناك أمور خاصّة تمنعنا من الذهاب.

يخبرنا المسيح في أحد أمثاله عن وليمة عرسٍ قائلاً: إن ملكاً أقام وليمةً في عرس ابنه، وأرسل عبيده يدعو المدعوين، "وَلَكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا وَمَضَوْا وَاحِدٌ إِلَى حَقْلِهِ وَآخَرُ إِلَى تِجَارَتِهِ" (متى ٢٢: ٥)، أي تصرفوا بلا مبالاة مع أعظم دعوة يمكن أن توجه إليهم.

بماذا يختلف هؤلاء عن الذين ندعوهم فيقولون لنا: بعد الامتحانات سأواظب على حضور اجتماعات الكنيسة. أو عندي محاضرة اليوم وأنا لست مستعداً لحضور الاجتماع. أو يوجد مسلسل تلفزيوني شيق وأنا من متابعيه، أو مباراة

رياضية ينبغي أن أعرف نتيجتها، ربما في وقت آخر. أو عندي مشكلة في العمل، عندما أهيئها سأحضر الاجتماع.

لو أمكنك أن تسأل كل الذين دُفِنوا في القبور، هل أنهيتم كل أعمالكم قبل وفاتكم؟ لأجابوا جميعاً بصوت واحد، فاجأنا الموت قبل أن ننهي أعمالنا.

عندما دعا الرب يسوع البعض لاتباعه، قال أحدهم: "يَا سَيِّدُ أَتَدْنِي لِأَنْ أَمْضِيَ أَوَّلًا وَأُدْفِنَ أَبِي" (متى ٨: ٢١). وقال آخر: "اتَدْنِي لِأَوَّلًا أَنْ أُودَّعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي" (لوقا ٩: ٦١). اسمح لي أن أقول لك، إن لم يكن يسوع أولاً في حياتك، فأنت لا تصلح لملكوت الله. وإن كان موقفك من يسوع في هذا العالم هو اللامبالاة، فإنك يوم تلتقيه في الأبدية ستسمع صوته يقول لك: "خُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ" (متى ٢٢: ١٣). فهل تعيد النظر بموقفك من مولود بيت لحم، وتتحول من موقف اللامبالاة إلى موقف الإكرام.

المجموعة الثالثة: يمثلها المجوس، وموقفها من مولود بيت لحم العبادة والإكرام (عدد ١١).

من هم المجوس؟ إنهم علماء، أو حُكماء، عَكفوا على دراسة الفلك، والطب، وأسرار الطبيعة، وتفسير الأحلام.

عندما حَلِمَ (تَبُوخَذَنْصَر) أحلاماً أزعجته أمر "بِأَنْ يُسْتَدْعَى الْمَجُوسُ وَالسَّحَرَةُ وَالْعَرَافُونَ وَالْكَلدَانِيُّونَ لِيُخْبِرُوا الْمَلِكَ بِأَحْلَامِهِ" (دانيال ٢: ٢). وقد أطلق اسم المجوس على كل الفلاسفة والعلماء والحكماء في المشرق. وقد أكرمهم الملوك واتخذوهم مشيرين لهم، حتى أنَّ (تَبُوخَذَنْصَر) ملك بابل عَيَّنَ دَانِيَالَ النَّبِيَّ كَبِيرًا لَهُمْ.

هؤلاء المجوس المذكورون في إنجيل متى كل ما نعرفه عنهم أنهم أتوا من المشرق إلى أورشليم لكي يسجدوا للمولود ملك اليهود. ولا نعرف بالتحديد من أي بلاد في

المشرق أتوا، ولا كم كان عددهم. ومن هداياهم نعرف أنهم ذوي ثروة ونفوذ. ومن كلامهم مع اليهود بلغتهم نذكر وفرة معارفهم.

أما كيف عرفوا قصة المولود ملك اليهود؟ فأعتقد أن الجواب في قصة السبي اليهودي إلى بابل. فهم عندما نُقلوا من بلادهم، نُقلوا معهم توراتهم، وأسسوا الجوامع في كل مكان استقروا فيه، وبذلك انتشرت قصة مسيّاهم الذي عليه رجاءهم بين الأمم. ولأن المجوس هم نُخبة الشعب في المعرفة، فقد اهتموا بموضوع المسيا وانشغلوا فيه. وبناءً على معجزة إلهية جاؤوا إلى أورشليم ليسجدوا للمولود ملك اليهود، ويقدموا له الإكرام والعبادة.

كنا ننتظر أن رؤساء اليهود الدينيين يسبقون الكل إلى بيت لحم عند سماعهم أدنى خبر بولادة المسيح، لكن هؤلاء المجوس الغُرباء القادمين من بلاد بعيدة سبقوهم، فتمّ القول: "هُودَا آخِرُونَ يَكُونُونَ أَوَّلِينَ وَأَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ" (لوقا ١٣ : ٣٠).

عندما جاء المجوس إلى بيت لحم، وأروا الصبي مع مريم أمه "خَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ"، لم يكن السجود لمريم ولا ليوسف، بل لمولود بيت لحم، ولا شك عندي، أن ذلك كان بإرشاد إلهي عجيب، وفي هذا عبرة لنا لنعرف لمن نسجد، ولمن نقدم الإكرام.

لقد سمعنا الكثير من القصص التي تشبه قصة هؤلاء المجوس الذين أتوا من مسافات شاسعة بحثاً عن الحق، سمعنا عن أناس جاؤوا من خلفيات غير مسيحية ليقابلوا مولود بيت لحم، وبمجيئهم عانوا الكثير من الألم والاضطهاد، لكنهم في النهاية عندما تقابلوا مع مولود بيت لحم بالسجود والإكرام، وجدوا فيه الراحة والسلام، فهانت آلامهم في لقاءه.

ما أعجب المسيح! عندما رآه المجوس طفلاً في مذودٍ قالوا عنه: ملك اليهود. وعندما صُلب بين المجرمين كتبوا فوق صليبه، ملك اليهود. ولأنه ملك في كل الأحوال، إذ تلتقيه ستميّزه وتسجد له، لأنّه أعظم من الجميع!

تعال إليه بتواضع كالمجوس، واقبله ملكاً على حياتك، مستبدلاً بذلك موقفك من العدا، أو اللامبالاة، إلى موقف العبادة والإكرام.

خاتمة: ثلاثة مواقف من يسوع، الأول العدا والكراهية ويمثله هيروُدُس. الثاني اللامبالاة، ويمثله رؤساء الكهنة وكتبة الشعب. الثالث العبادة والإكرام، ويمثله المجوس. إلى أي موقف تنتمي؟ تذكر أن موقفك يحدد مصيرك، فإن كان خاطئاً عرّضت نفسك لخطر كبير لا يمكن النجاة منه.

إن مولود بيت لحم هو المسيح الرب، فتعال إليه ساجداً عابداً، مقدماً له الإكرام، لتتال به الحياة الأبدية، وتنجو من الدينونة الآتية.

ولإلهنا كل المجد إلى الأبد. آمين.



كُتِبَ لِلْمُؤَلَّفِ

- (١) عالم يتغير برسالة لا تتغير ج ١، ٢٦٣ صفحة. لاهوت نظامي. صَدَرَ في دمشق، ٢٠٠٥.
- (٢) هل حقاً يسكن الله في خيمة، ١٦٠ صفحة. دراسة تأملية. صَدَرَ في القاهرة، ٢٠٠٧.
- (٣) الكنيسة والعبادة، ٢٣٧ صفحة. عقائد. صَدَرَ في دمشق، ٢٠٠٨.
- (٤) مُخَلِّص العالم، ٤٤٦ صفحة. دراسة انجيلية، صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٢.
- (٥) الحقيقي والمزيف، ٨٠ صفحة. أقاصيص. صَدَرَ في دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.
- (٦) هل نحتاج الى الله، ١١١ صفحة. دراسة تأملية. صَدَرَ في دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.
- (٧) عالم يتغير برسالة لا تتغير ج ٢، ١٨٥ صفحة. لاهوت نظامي. صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٦.
- (٨) من يصنع هُويّتي، ٨٦ صفحة. بحث اجتماعي مسيحي. صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٧.
- (٩) ملائكة الله المُقْتَدِرُونَ قُوَّةً، ١١٧ صفحة. دراسة تأملية. صَدَرَ في دمشق، ٢٠١٨.
- (١٠) سلسلة «أَحْبَبْتُ شَرِيعَتَكَ ج ١». باقة من العِظَات. صَدَرَ في دمشق ٢٠١٩.

أَخْبَيْنِيْ شَرِيْعَتَكَ

سلسلة كتب غير دورية

تتضمن مواضع تفسيرية تدور في فلك النص الكتابي

”فَلْيَلْبِسُوا الْقُلُوبَ بِغُلٍّ يُضِلُّ
فَاجْمَعِ الْقُلُوبَ كُلَّ يَوْمٍ: هَلْ
هَذِهِ الْأُمُورُ هَكَذَا“ (المدثر: ١١)

9 789781 2-05074-4



9 789781 2-05074-4